روايات عالمية

من الشرق والغرب



BELLE

إهـــــــداء2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر

الإسكندرية

روايات

عالمية

العدد رقم ٢٧٤

المنبوذ

قصة بوليسية رائعة

للكاتب الفرنسى الكبير
جورج سيمنون

تعريب

حسن محمد احمد

الفصل الأول

كثيرا ما يحدث للانســان منا أن ينتهز فرصـــة وحدته بين جدران بيته وخلوته الى نفسه فتبدر منه تصرفات غريبة أو يأتى بحركات طبيعية يمارسها كل يوم فى حرية مطلقة بعيدا عن التكليف والقيود التى يفرضها المجتمع ، ثم يرفع بصره فجأة ويكتشف أنه قد نسى اسدال الستائر . وأن عيون العالم الخارجى كلها ترقبه وتتفرج عليه ! .

هذا ما وقع للسيد سبنسر آشبى .. او على الأصح ، شيء قريب من هذا وقع له .. اذ أن احدا لم يتفرج عليه أو يلق اليه انتباها فى ذلك المســاء .. وهو منفرد بنفسه بعيـــد عن ضجة العالم الخارجى .. حتى صوت الجليد الذى كان يقرع النوافذ وهو يتساقط من السماء .. لم يكن يصل الى سمعه فى عزلته .. ومع ذلك فطالمـا تمنى بعد ذلك لو أن طفيليا معه آلة فوتوغرافية قد رآه وسجل عليه حركاته ! .

لم يكن هو أو أى انسان آخر فى الدنيا يتوقع أن كل حركة اتاها أو خلجة من خلجات نفسه ســوف تفحص وتدرس فى عمق وامعان تحت مجهر مكبر يوضـح الصورة ويكبرها مئات المرات وكأنها جرثومة ضئيلة شديدة الخطورة ؟ .

ماذا تناول على مائدة العشاء فى ذلك المساء ؟ . لم يكن حساء أو بيضا ولا قديدا محمرا . بل كان أحد تلك الأطباق التى اعتادت كريستين أن تفتن فى طهوها لتفاخر صديقاتها بأنها قد اخترعت لونا جديدا من ألوان الطعــام . خليطا من مختلف انواع اللحوم وبعض حبـات البقول تحت طبقات من « المكرونة الاسباجيتى » المخلوطة بالجبن .. نعـم .. انه يذكر ذلك ويذكر أن زوجتـــه سألته : « أواثق انت من انك لا تريد مرافقتى الى دار آل ميشيل ؟ »

وكان الجو في غرفة الطعام حارا جدا .. وهو يذكر جيدا ان وجنتي زوجته كانتا شديدتي الاحمرار .. ولا يدرى لماذا يتذكر احمرار وجنتيها الشديد دون باقي ما حدث في اثناء العشاء ، والذي تبدو تفصيلاته كأنما تفرق في ضباب كثيف .. كانت بيل موجودة معهما بكل تأكيـد .. وهو واثق من ذلك تماما وان كان لا يتذكر لون ثوبها ، أو فيم كانت تتحدث وقتذاك . وهو لم يشترك في الحديث .. اذن كانت زوجته وبيل هما اللتان تديران دفة الحديث ، بيد انه حين جاء دور الفاكهة وبدأ كل منهم في تقشير تفاحته سمع بيل تذكر شيئا عن الأفلام والمسرحيات العالمية وبعد ذلك استأذنت منصرفة .

فهل ياترى قد ذهبت الى المسرح.. الى السينما ؟. قد يكون ذلك محتملا وهي لا تبعد عن الدار بأكثر من نصف ميل .

ولقدكان مولعا بالمشي تحتالثلج المتساقط وخاصة ذلك الذي يسقط مبكرا في أول الموسـم ، حيث تبعث فيه ذكرى ممتعـة لشتاء سوف يستمر بضعة شـهور أخرى . وسـتخرج احذية المطاط الطويلة من مخبئها فتصف بجوار الباب الخارجي ، بجانب جاروف الثلج الكبير .

وكان قد تناهى الى سمعه صوت الصحاف والأطباق وكريستين تضعها في حوض الماء الساخن ، وهو واقف يحشو غليونه بالطباق أمام المدفأة في غرفة الجلوس . ولم تكن زوجته قد أشعلت المدفأة من اجله ، فهو قلما يستعمل غرفة الجلوس . ولكن لأنها كانت قد دعت بعض صديقاتها على الشاى .

قالت له :

ـ اذا لم اعد قبل ان تأوى لفراشك .. فاغلق عليك الباب .. المفتاح معي ..

ـ وهل دبرت امر « بيل » ؟ .

ـ ستشهـد بيل العـرض الأول ولن تتخلف في عودتها عن العاشرة على الأكثر .

كان كل شيء يسير كالمألوف .. كما يحدث عادة وليس فيه ما يستحق التسجيل .. وصوت كريستين يصل الى اذنه من غرفة النوم .. وحينما وقف ببابها كانت ترتدى قميصها الأحمر الذى تنبعث منه رائحة خفيفة من النفتالين .. ولكنه حول وجهه وادار عنها بصره حتى لا يراها وهى ترتدى ثيابها .

وانصرفت كريستين .. وسمع صوت محرك سيارتها يبتعد عن الدار .. فهى مولعـــة باستعمالها أينما ذهبت رغم أن مسكنها لا يبعد كثيرا عن المدينة .. بل يكاد يكون فى نطاقها .

ولقد بدأ يخلع سترته ورباط رقبته .. ثم فتح زرار ياقته . وبعد ذلك جلس على حافة فراشه لينتعل خفيه . فى نفس المكان الذى كانت تجلس فيه زوجته .

انه يجد صعوبة كبرى فى استعادة كل تلك التفصيلات .

ولقد أوشك أن ينسى أنه انطلق الى المطبخ حيث فتح الثلاجة وتناول منها زجاجة الصودا .. وانه ايضا فى أثناء مروره بغرفة الجلوس قد انحنى ليلتقط مجلـــة « نيويورك تايمز » من فوق المائدة الصغيرة ثم حافظة أوراقه من فوق رف الخزانة .. وكانت يداه مشغولتين بما يحمل حتى وصل الى مقره أو عرينه ـ كما اعتاد أن يطلقه عليه ـ وهناك واجهته كالعادة مشـــكلة فتح وغلق الباب دون أن يسقط شيئا من يده .

ويعلم الله وحده فيم كانت تستعمل تلك الغـــرفة .. قبل أن تهذب وتنسق ويتخذاها سكنا ؟ . ربما كانت مغسلا للثياب أو ورشة للحدادة أو مخزنا للطعام والخمور ؟ . لكنه كان يميل اليها لأنها على خلاف باقى الغرف المألوفة .. فهى تحت درج البيت ولها سقف منحدر ، وأرضها من الحجارة الكبـــيرة غير منتظمة الشكل ، ونوافذها مرتفعة بحيث لابد من جذب حبل يلتف حول بكرة .. حتى يمكن فتحها او غلقها .

وهو الذى قام باعدادها وتجهيزها بنفسه وبيديه ، الطـــلاء والرفوف فوق الجدران والأنوار الكهربية وتوصيلاتها المعقدة . حتى تلك السجادة الفارسية الصغيرة التى تغطى الأرض الحجرية

عند نهاية الدرجات الثلاث قد اشتراها بنفسه من احدى صالات المزادات .

لقد ذهبت كريستين لتلعب البريدج لدى أسرة ميشيل .

وهو لا يدرى لماذا يدعوها فى ذهنه كلما تذكرها بلقب «ماما» رغم انها لا تكبره بأكثر من عامين ؟ . وربما لأنه اعتاد أن يسمع أصدقاءه ممن انجبوا أطفالا ينادون زوجاتهم بلقب ماما ! . وكان ذلك يسبب له الحيرة حين يتحدث معها .. وتثب الكلمة الى ما بين شفتيه فيضطر الى حبسها وابتلاعها كأنما يوشك أن يرتكب اثما .

وحين لا تلعب البريدج .. تخوض فى السياسة أو فى أغلب الأحيان تتحدث فى المشروعات الاجتماعية .

وهو ايضا يعمل فى خدمة المجتمع . وحيدا فى وكره أو عرينه يصحح كراسات التلاميذ فى مادة التاريخ التى يقوم بتدريسها فى مدرسة « كرستيفو » .. وهى مدرسة اعدادية تخدم منطقة واسعة وبها طلبة يفدون اليها من نيويورك ومن شيكاغو ومن الجنوب حتى سان فرنسيسكو .

وكريستين تعتبر نفسها احدى رائدات الخدمة الاجتماعية .. وتحرص على أن تنشر نشاطها بين مختلف الميادين فى تلك القرية التى لا يتجاوز عدد سكانها الألفين .. وتحث كل معارفها وصديقاتها على أن يشاركنها فى ذلك النشاط ، مع ماتعمله يقينا أن غالبية السكان يرتبطون معا برباط القرابة أو المصاهرة .. كما يحدث دائما فى القرى الصغيرة التى تتألف من عائلات وأسر قديمة تشعبت واتصلت بأواصر القربى فيما بينها ..

وانه وان كان فردا وأحد أبناء ذلك المجتمع الهادىء الصغير لكنه لم يولد فيه .. فهو ليس من ولاية كونتاكت بل من أقصى شمال ولاية نيو انجلاند .. ومن مدينة فيرمونت بالذات ، وكان فى الرابعة والعشرين حينما قدم لتلك المنطقة لأول مرة .. ليشغل وظيفة التدريس فى كرستفيو .. ومنذ ذلك الوقت ولا يعرف موطنا خلاف تلك البلدة ولم يبرحها لأى مكان آخر . فاذا سار مع زوجته فى الطريق سمع من يناديه فى ود وصداقة :

ـ هالو .. كيف أنت يا سبنسر ؟.

كان محبوبا من الناس جميعــا .. كافة الطبقــات . وكان هو يحبهم أيضا كأهله وقومه . كما كان يعشق مهنته ويجد لذة ومتعة عميقة في مراجعة اوراق الاولاد فى مادة التاريخ أكثر من أية مادة ثانوية اخرى يناط به تدريسها .

وقبل أن يبدأ عمله ، تناول زجاجة الشراب وكأسا من الخزانة. وفتاحة الزجاجات . وقد فعل كل ذلك بطريقة آلية دون أن يعرف ماذا كان يشغل باله وقتذاك .

وكانت احدى الوريقات تخص بوب ميشيل ابن صاحب الدار الذى انطلقت اليه كريستين لتلعب البريدج وأبوه « دان ميشيل » المهندس المعمارى الذى يتلهف للحصول على عقد مع البلدية لتشييد بعض المبانى ، وفى سبيل ذلك كان يكثر من دعوة كبار المسئولين وذوى الحيثيات الى منزله ..

وجد أن بوب ميشيل لا يستحق أكثر من ست درجات فى مادة التاريخ . فوضع سبنسر الدرجة بقلمه الأحمر .

وكان يسمع من حين لآخر صوت احدى سيارات النقــــل ومحركاتها تزأر بشدة صاعدة التل الذى لا يبعــد أكثر من ثلثمائة ياردة عن المنزل . وهو الصوت الوحيد الذى كان يتناهى الى أذنيه. فلم يكن بالغرفة ساعة حائط تزعجه بدقاتها ، وما كانت به حاجة لأن ينظر فى ساعته .. فعملية تصحيح الأوراق لا تستغرق عادة أكثر من أربعين دقيقة . وأعاد الأوراق الى حافظته واغلقها ثم حملها الى غرفة الجلوس حيث اعتاد أن يجهز فى المساء ما سوف يحمله فى الصباح .. حتى ذقنه لم يكن ينسى أن يحلقها قبل أن ينام لاضطراره لمبارحة الدار فى ساعة مبكرة كل صباح ..

وكانت الستائر المعدنية المركبة على نوافذ غرفة الجلوس مفتوحة ولم يكن يسدلها فى أغلب الأحايين الا قبل أن يأوى الى فراشه.. وربما تركها مفتوحة طول الليل اذا لم تنتبه زوجته الى ذلك فتسدلها بنفسها .

ووقف برهة يتأمل الثلج المتساقط كالقطن المندوف ، ومد نظره الى دار آل نيشان .. ولمح السيدة نيشان جالسة الى المعزف وهى

ترتدى معطفا منزليا احمر اللون ، وكانت تلعب عليه فى حرارة وانسجام شديدين ، لكنه لم يكن يسمع صوت الموسيقى من خلال النوافذ الزجاجية ..

وجذب الحبل .. فسقطت الستائر المعدنية .. كما يحدث كل يوم تماما .. ثم انطلق الى غرفة النوم ليغير ملابسه .

هل عاد مرة اخرى الى المطبخ ؟ لم تكن به حاجة الى مزيد من الصودا .. فالزجاجة الأولى تكفيه طول السهرة .. ولكنه يذكر انه وضع فى جيبه بعض الأخشاب الصغيرة ثم توجه الى المغسل .

والأهم من ذلك جميعه .. هو ما فعله خلال الساعة التى تلت ذلك والتى قضاها فى مصنعه الصغير ، حيث انهمك فى صنع حامل خشبى وقاعدة لمصباح جميل .

وكان مولعا بقضاء وقت فراغه فى تصنيع الخشب الى اشكال زخرفية .. وكثيرا ما أحال القطع الصماء الى روائع فنية وطالما أهدى انتاجه الجميل الى صديقات زوجته وضيوفها .. كذلك كانت كريستين تعرضها فى سوق الخير والبر وتحصل على مبالغ طيبة تضعها فى صندوق الخدمة الاجتماعية بالقرية . وقد عكف حينئذ على صنع حامل المصباح وقاعدته ليجعلها تحفة ثمينة تليق لأن يهديها لكريستين فىعيد ميلادها القريب. فالمنشار الكهربى نفسه هدية منها اليه تقديرا لموهبته وفنه قدمته اليه منذ أربعة أعوام .. ومنذ ذلك الحين وهما يعيشان معا على وفاق تام ومودة متبادلة .

ومزج كأسه الثانية وهو مستغرق فى عمله .. وكان من حين لآخر ينسى غليونه .. فيمد يده ويدفعه الى فمه فينهل منه أنفاسا عميقة ثم يضعه بجانبه حتى يظل مشتعلا .

وكان يجد متعة فىتشكيل قطعةالخشبتحت المنشار الكهربى كما كان يجد لذة فى صوت المنشار وهو يأكل حوافها وينشر حوله غبارا من النشارة الرفيعة ..

ولابد أنه قد أغلق باب وكره . لأنه يفعل ذلك دائما حتى يضمن عزلته واستغراقه فى عمله دون أن يقطع عليه انسان أفكاره . تماما

كما يدفن الانسان نفسه بين أغطية فراشه لينعم بأسعد الاحلام .
ورفع بصره فى وقت ما عن الآلة التى يجلس امامهـا ، فاذا به يشاهد (بيل) واقفة فى أعلى الدرجات الثلاث .. ولكنه لم يسمع ما كانت تقوله له ، بسبب صـوت المنشار الذى كان يدور حـول قطعة الخشب بيد أنه شاهد شفتيها تتحركان .

واشار لها براسه أن تنتظر .. فما كان بوسعه أن يوقف الآلة قبل أن ينتهى من تشكيل حرف القـاعدة الخشـبية ، وكانت بيل ترتدى قبعة رخوة سمراء « بيريه » فوق شعرها الكستنائى الجميل . ولم تكن قد خلعت بعد معطفها ولا حذاءها المطاطى الطويل .
ولم يكن يبدو عليها المرح كعادتها .. أو كما توقع بعو عودتها من السينما .. بل كانت تلوح ممتقعة اللون قليلا .. ولم تقف الا لحظة خاطفة .. وأكبر الظن أنها لم تدرك أن صوتها لم يصل الى اذنيه ، فاستدارت منصرفة .. وخيل لسبنسر من حركات شفتيها أنهـا تقول له « طابت ليلتك » .

ولم تغلق الباب خلفها جيدا فى اول مرة ، فقد كان «المزلاج» جافا .. فعادت أدراجها وجذبته اليها بشـدة واوشك سبنسر أن يناديها وهو يعجب ما الذى كانت تقوله له قبل أن تحييه تحيـة المساء . وخيل اليه .. انها تنوى الخروج ثانية .. ولا غرابة فى ذلك : فانها كانت فى الثامنة عشرة ولا تحمل للدنيا همـا ، وكثيرا ما كانت تقبل دعوات الأولاد فترافقهم الى شتى المسارح .. ولا بد أن احدهم قد أوصلها بسيارته للبيت ..

ولو لم يكن مستغرقا فى اتمام اهم جزء من القاعدة الخشبية فى تلك اللحظة ، لتغير وجه التاريخ .. ولما حدث شيء مما حدث !.

وبالرغم من أنه لم يكن يؤمن بالهواجس .. فقد شعر بانقباض خفى .. وكان ذلك بعد انصرافها بثوان .. حينما أوقف الآلة .. ورفع رأسه وأرهف أذنيه فى حدة .. وتساءل ترى هل حضرت بيل فى سيارة فعلا .. وهل انصرفت فى نفس السـيارة ؟. اذا كانت قد فعلت .. فلا بد أن صـوت المنشار الآلى قد غطى على صوت السيارة ، ولا بد انها الآن قد ابتعدت كثيرا عن البيت .

ولا يدرى لماذا شعر بذلك الاهتمام المفاجيء بها ؟ أكان سبب ذلك دهشته لما لاح عليها من حزن لم يكن يتوقعه من فتاة قضت سهرة جميلة فى الخارج .. أم لامتقاع وجهها الذى خيل اليه أنه لمحه من خلال الضوء الباهر الذى كان يغمر الغرفة ؟.

لقد كان فى وسعه أن يصعد اليها ويأكد من أنها فى حجرتها وأن شيئا ما لم يزعجها .

لكنه لم يفعل شيئا من ذلك .

بل ظل مكانه .. وأعاد حشو غليونه من وعاء التبغ الذى يحتفظ به على نضد مجاور ، بعد أن أفرغ الرماد جانبا فى المنفضة .. وأخذ جرعة من كأسه وعكف ليتم ما بين يديه .. فقد كانت قطعة الخشب معقدة التشكيل حقا ، وتحتاج لمزيد من العناية والفن حتى تليق بأن تكون هدية حقا ..

وفى غمار استغراقه فى عمله .. نسى بيل .. بل نسى كل شيء فى الدنيا .. الى أن دق جرس التليفون .

ومد يده الى السماعة .. فقد كانت لديه فى مصنعه الصغير توصيلة خاصة ..

ـ سبنسر ؟.

كانت المتحدثة هى كريستين وقد سمع أيضا أصواتا غريبة وضحكات يتردد صداها من بعيد .

سألته :

ـ أمازلت تشتغل ؟.

ـ سأنتهى بعد عشرة دقائق أو نحو ذلك ..

ـ هل كل شيء على ما يرام ؟. هل عادت بيل ؟.

ـ أجل .

ـ أمازلت مصرا علىعدم الحضورلتلعب معنا دورا من البريدج؟ أستطيع أن أرسل اليك احدى السيارات هنا لتحضرك اذا أردت..

ـ لا أشعر برغبة فى ذلك ..

ـ فى هذه الحالة .. لا تنتظرنى .. ربما تأخرت فى العودة .. بل قد أتأخر كثيرا لأن ماريون وأوليفيا قد وصلتا الآن فقط مع زوجيهما .. وسوف نبدأ شوطا جديدا ربما استمر طويلا .

وسادت فترة صمت قصيرة .. كان يسمع فيها رنين الكئوس. وكان يعرف البيت .. وغرفة الجلوس الكبيرة ذات الأرائك الطويلة المقوسة المكسوة بالمخمل الأحمر ، وموائد البريدج المستديرة المتحركة .. بل يعرف أيضا أين يوجد المطبخ والثلاجة التى يحصلون منها على قطع الثلج ..

ـ اواثق أنت من أنك لا ترغب فى الحضور .. ان الجميع هنا يودون لو شاركتنا السهرة ..

وسمع صوت دان ميشيل وهو يصيح فى التليفون ..

ـ تعال الينا .. أيها المقامر العجوز !.

ثم سمع صوت زوجته وهى تسأله :

ـ بماذا أجيبه .. هل سمعت ما قال ؟.

ـ شكرا .. سوف أظل هنا .

ـ حسنا .. طابت ليلتك .. وسأجتهد الا أوقظك حين أعود.

ونظف المنضدة من نشارة الخشب .. وهو الذى يتولى ذلك دائما لأن أحدا لايدخل الى عرينه الذى يقوم بكنسه وغسله بيده مرة كل أسبوع . وكان فى أحد الأركان مقعد من الجلد ذو مسندين مقعد قديم جدا منخفض جدا .. من النوع الذى لاتراه الا فى الدور البالغة فى القدم .. فجلس فيه ومد ساقيه أمامه ومضى يتصفح مجلة نيويورك تايمز .

ونهض بعد فترة من الوقت ومعه زجاجة الصودا والكأس الفارغة فذهب الى المطبخ حيث توجد ساعة كهربية كبيرة مثبتة على الجدار .. لكنه لم ينظر اليها .. ولم يخطر بباله أن يفعل . كذلك حين كان يخترق الردهة لم ينظر الى باب غرفة بيل .. فلم يكن يهتم بها كثيرا رغم أنها تقيم معهما منذ وقت طويل .. لفترة مؤقتة لأنها لم تكن فعلا من أهل البيت .

وتأكد من أن الستائر المعدنية مسدلة تماما ، وأغلق الباب ثم بدأ يخلع ثيابه وهو يضع كل قطعة منها فى مكانها المعتاد ثم .. فى وقت لايستطيع تحديده .. انطلق الى فراشه وتمدد .. ثم أطفأ آخر الأنوار .

وقبل أن يغمض عينيه ويستغرق فى النوم كان يشعر بكل شىء حوله فى البيت ، بالنار التى أوشكت أن تخبو فى مدفأة غرفة الجلوس .. بالثلج الذى كان يتساقط ويصافح الجدران من الخارج فى لطف .

وكان يشعر أيضا بآل نيشان فى الجهة المقابلة من الطريق .. وبباقى الجيران فى الدور المجاور وبالأنوار التى تنبعث من النوافذ ويفكر أيضا فى مائة وثمانين طالب ينعمون بالنوم فى مدرسة كرستفيو .. ذات الجدران الحمراء على قمة التل ..

كل ذلك كان يشعر به ويفكر فيه قبل أن يغمض عينيه ... وينام ..

وحين دق جرس المنبه فى السابعة . شعر بكريستين تتحرك بجواره .. تنهض قبله كالمعتاد .. وتنطلق الى المطبخ لتضع ابريق الماء فوق الموقد .. تعد القهوة .

ولم يكن لديهما خادمة مقيمة .. انما كانت هناك امرأة تتردد للنظافة مرتين كل أسبوع .

ونهض متكاسلا . وازاح الستارة لينظر الى الطريق ، وكان الوقت بعد الفجر ونور الصباح مازال بعيدا فى الأفق .. والثلج الأبيض يلمع على أرض الطريق وفوق حواف النوافذ والجدران وكأنه مسحوق الطباشير ولاحظ أن قطرات من الماء تتساقط من حافة النافذة كما لو كان الثلج قد بدأ فى الذوبان . ولو حدث ذلك .. لامتلأت الطرقات بالبرك والأوحال .. وأحزن الأولاد فى المدرسة .. الذين يحلمون بالتزحلق على الجليد واللعب بكرات الثلج .

وكانت الساعة السابعة والنصف .. عندما دخل المطبخ حيث كان الافطار معدا على المائدة الصغيرة .. وكانت كريستين تمشط شعرها .. وعجب هل أخطأت عيناه وهو يرى لون شعرها .. ان فيه لبياضا .. وقد كان دائما ذهبيا فهل تراها استعملت نوعا من الأصباغ ؟ ولم يحدثها فى ذلك بالطبع .

كان يعشق رائحة القهوة .. والقديد المحمر بالبيض .. كما يعشق عطر زوجته وهو يختلط بكل ذلك ، فهو جزء لايتجزأ من

متعة كل صباح . حتى ليستطيع تمييز زوجته من عطرها لو اغمض عينيه وكلفوه بالبحث عنها وسط اللايين ..

وسألها :

ـ هل ربحت ؟.

ـ ستة دولارات ونصف . وخسرت ماريون وزوجها كل ما معهما كالعادة خسرا أكثر من ثلاثين دولارا .

وكانت ثمة ثلاثة مقاعد حول المائدة الصغيرة ولكنه نادرا ما تناولت بيل طعام الافطار معهما . وما كانا ليوقظاها فى تلك الساعة المبكرة وكثيرا ما كانت تأتى وقد أوشكا على الانتهاء منه مرتدية ثيابها ومنتعلة خفها المنزلى .. لذلك لم يدهش آشبى حينما لم يرها فى ذلك الصباح .

وكانت كريستين تتحدث :

ـ وكما أخبرت ماريون.. هذه القرية تحتاج منا ـ حتى نرفع مستواها الى ..

ولكنه لم يذكر شيئا مما قالته . فهو كلام طالما سمعه ويدور دائما فى محور واحد هو الخدمة الاجتماعية .. الموضوع الذى يشغل بالها ويتخلله قائمة طويلة من أسماء الأشخاص الذين لا يشعر نحوهم بأى اهتمام وان كان يعرفهم جميعهم .

ومع ذلك .. فقد كان كل هذا قليل الأهمية بالنسبة اليه .. لأنه لم يكن يعلم بما حدث .. كذلك لم يكن أحد آخر قد علم به بعد .

وكل ماخطر بباله أنه لابد من أن يتحمل ثرثرة زوجته .. فالقرية كلها وهى تنفض النوم من عينيها تبدأ فى تحريك ألسنتها بالحديث تتحدث النساء فى الحمامات والمطابخ وأمام الأبواب على حين ينهمك الرجال فى ارتداء الأحذية المطاط الطويلة التى سيخوضون بها فى الجليد والماء ..

ولم ينس حافظة أوراقه .. فهو لا ينسى شيئا أبدا ..

ووضع غليونه فى فمه .. ينهل منه أول أنفاس الصباح . واتخذ مقعده أمام عجلة قيادة سيارته وهو يلمح بطرف عينيه معطف السيدة «نيشان» ذا اللون الأحمر وهو يبدو من احدى نوافذها .

وكانت ثمة دور متعــددة متناثرة على سفح التل تحيط بها حدائق صغيرة كان الثلج يغطيها وقتئذ ، بعضها حديث البناء مثــل دار آل نيشان ولكن أغلبها من الطــراز القديم المعــروف فى ولاية نيوانجلاند ..

ومنها يبدأ الطريق الرئيسى فى أول مكتب البريد ثم ينحدر مع ثلاثة محلات للبقالة وبعض المتاجر وينتهى بمحطة للبنزين على كلا الجــانبين ..

وتوقف آشبى عند بائع الصحف ليشترى صحيفة الصــــباح المحلية .. وسمع أحدهم يقول :

ــ يبدو أنها ستمطر ثلجا بعد برهة وجيزة .. وربما هبت علينا عاصفة شديدة قبل حلول الليل ..

وسمع نفس الشىء .. ونفس العبارات فى مكتب البريد ... ويبدو أن الناس قد استقوا معلوماتهم من نشرة الأرصاد الجــوية التى أعلنتها اذاعة الصباح .

وبعد أن عبر النهر .. مضى فى الطريق المنحنى الصــاعد الى المدرسة واكثره مملوك للمدرسة يغطى جزء منه مجموعة من الأشجار على شكل غابة صغيرة وفى القمة حوالى اثنى عشر مبنى للتلاميذ .. بخلاف المبانى المخصصة للاساتذة .. ولولا أن لكريستين منزلا مملوكا لها خاصة ، لكانا يشغلان احدى تلك البيوت الخاصة بالمدرسة .. ولقد كان يسكن آشبى نفسه ــ قبل أن يتزوج ــ ولســــنوات عديدة سابقة فى ذلك الجناح الكبير ذى السقف الأخضر والمخصص للمدرسين العزاب .

وترك آشبى سيارته فى الحظيرة الخارجية حيث كانت تقف سبع سيارات أخرى ..

وما كاد يبدأ فى ارتقاء الدرج الأمامى حاملا حافظة أوراقه فى ثقة واعتداد ، حتى فتح الباب واندفعت منه سكرتيرة المدرســـة ــ الآنسة كول ــ ووقفت تسد الطريق فى وجهه ..

ــ لقد اتصلت زوجتك بنا منذ لحظة .. وهى ترغب فى عودتك للبيت فورا ..

ــ هل أصابها مكروه ؟

ـ لا .. انها بخير . في الحقيقة لست ادرى . ولكنها طلبك مني أن أطمئنك حتى لا تفزع .. وألحت في أن تسرع بالعودة دون اى ابطاء أو تأخير ..

وتحرك محاولا أن يتجاوزها ليدخل المبنى وفي نيته أن يتصل بها من مكتبه تليفونيا ..

ـ لقد أكدت بأن عليك أن تسرع بالذهاب اليها في الحال دون أن تضيع وقتا في الاتصال بها تليفونيا ..

وقطب حاجبيه عابسا .. وقد استبدت به الحيرة .. الحيرة فقط .. لأنه في الواقع لم يشعر بأى اضطراب جدى ..

ـ في هذه الحال .. ومادام الأمر كذلك .. فأرجو أن تبلغى السيد الناظر ..

ـ لقد فعلت ذلك توا ..

ـ حسنا .. أرجو أن أعود قبل أن تنتهى الحصة الأولى ..

وغضب من كريستين ، وخاصة أنها لم يسبق لها أن فعلت ذلك من قبل . كانت لها أخطاؤها بلا ريب كغيرها من الناس .. بيد أنها لم تكن من نوع النساء اللاتى ينفعلن لأتفه الأسباب حتى تزعجه في المدرسة . فهى من ذلك الطراز الذى يبدأ باستدعاء سيارة الاطفاء لو شب حريق في الدار ، أو الطبيب لو حدث مرض مفاجىء أو حادث طارىء دون أن تطلب منه الحضور بهذا الأسلوب العنيف ..

ولمح وهو في طريقه هابطا التل ، جاره دان ميشيل يقوم بتوصيل ابنه بوب للمدرسة ، وخيل اليه أن دان لم يرد على تحيته بابتسامته المعتادة .. في حين كان يجدر به أن يستوقف آشبى ويسأله مثلا عن سبب انطلاقه للدار فجأة في هذا الموعد الذى ينبغى أن يكون فيه بين تلاميذه .

واشرأب بعنقه وهو يخترق الطريق الرئيسى عله يجد أمامه شيئا غير طبيعى ولكن الطريق كان في منتهى الصفاء والهدوء .. وليس فيه أى جديد . كذلك لم ير شيئا غريبا حول داره جاذبا للأنظار ، بيد أنه حينما انحرف في الممر الضيق الموصل الى البيت لاحظ وجود سيارة الدكتور ولبورن في الحظيرة ..

ومضى مسرعا يوسع الخطا .. وبحركة آلية دس غليونه في

جيبه .. ومد يده ليدق الجرس .
وقبل أن تصل يده اليه .. فتح الباب فجأة .. تماما كماحدث له فى المدرسة منذ فترة مضت ..
وفوجىء عندئذ بماليس فى حسبانه .. وبدأ يمر بتجربة عنيفة لم يسبق أن صادفته فى حياته أبدا ..
وكان ولبورن ـ وهو طبيب المدرسة أيضا ـ رجلا فى الخامسة والستين .. يشعر نحوه أغلب الناس بالنفور لنظراته الساخرة الغريبة .
فتح ولبورن الباب ، ووقف جامد الوجه صامتا يمعن فى النظر من تحت عويناته كأنما يتفحص جرثومة غريبة لم يشاهدها من قبل . على حين وقفت كريستين فى الظلال البعيدة وقد حولت وجهها ناحيته .
وأحس آشبى بالضيق والانزعاج .. فى تلك اللحظات القليلة التى كانت نظرات ولبورن تلتهمه فيها ، وهو واقف كالموت فى مدخل الدار .. يفتح له الباب وكأنه صاحب البيت يستقبل ضيفا غير مرغوب فيه ، أو أحد حجاب محكمة الجنايات يدعو متهما للمثول أمامها ..
واستعاد آشبى هدوءه فى جهد شديد . وسمع نفسه يقول :
ـ ماذا حدث ؟ .
ـ أدخل ! .
ووجد نفسه يطيع الأمر وينطلق الى غرفة الجلوس ويتوقف عند بابها ثم يبدأ فى خلع حذائه الطويل .. ومع ذلك فلم يفكر أحد فى أن يخاطبه كانسان له كافة الحقوق فى بيته ..
ـ كريستين ! هل هنا أحد مريض ؟ .
وتحول بحركة لا ارادية نحو الردهة وهو يقول :
ـ اهى بيل ؟ .
ولاحظ بطرف عينه أن الطبيب يتبادل النظرات الخفيه مع زوجته . ولقد استطاع بعد ذلك أن يترجم معنى تلك النظرات .. وكانت كريستين تقول للطبيب :
ـ هل رأيت ؟ بالتأكيد لايبدو عليه ما يدل على أنه يعلم شيئا .. ما رايك ؟ .

واجابها ولبورن .. الذى لم يكن آشبى يشعر نحوه باية كراهية من قبل ..

ـ قد تكونين على حق .. وكل شىء محتمل .. أليس كذلك؟ على أى حال هذا شأنك انت !.

وقالت كريستين فى صوت مرتفع :

ـ شىء مريع يا سبنسر .

وخطت فى الردهة خطوتين للأمام ثم استدارت تسأله :

ـ أواثق أنت من انك لم تغادر الدار ليلة أمس ؟.

ـ بكل تأكيد .

ـ ولا فى أى لحظة ؟.

ـ اننى لم أبرح الدار بتاتا .

وألقت نظرة أخرى ذات معنى نحو الطبيب .. وخطت خطوتين آخريين .. كانت مستغرقة فى التفكير . ثم توقفت ..

ـ الم تسمع شيئا غريبا طول المساء ؟.

ـ أبدا . كنت أشتغل على المنشار الآلى .. لماذا ؟. ما معنى كل ذلك بحق الشيطان ؟.

وكانت كريستين قد وصلت للباب .. قالت :

ـ لقد ماتت بيل .

واحس كأنما أحد يلكمه فى بطنه بقسوة وعنف . وربما لأن ذلك آخر ما كان يتوقعه بعد كل تلك المعميات والألغاز التى صادفته منذ الصباح .. وشعر برغبة حادة للغثيان .. وكان ولبورن يراقبه فى حذر ويحصى عليه حركاته ويقطع عليه سبيل الفرار لو فكر فيه ..

وحدثته غريزته بأن وفاتها ليست طبيعية .. والا ماأحدثا تلك الضجة الكبرى . ولكن لماذا يقف أمامهما متخاذلا ضعيفا يكاد يتهاوى على نفسه ؟ حتى صوته كان غريب الوقع على أذنيه وهو يتساءل :

ـ وكيف ماتت ؟.

وفهم بغتة ماكانا يفكران فيه .. أدرك بغريزته انهما يريدان منه دخول الغرفة .. كأنما ليواجه باختبار حيوى حاسم قد يترتب عليه نتائج هامة .

ولم يجد تعليلا لتردده واحجامه .. أو لشعوره بذلك الخوف الذى بدأ يعصر قلبه ؟.

الفصل الثانى

من الذكريات المخجلة التى ترسب فى أعماق نفسه .. هذه الذكرى التى ظلت تعذب ضميره وتبعد النوم عن عينيه سنوات طويلة كثيرة ..

لم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من سنى حياته .. حين مضى يلعب مع صديق له فى يوم من أيام السبت فى فرمونت مسقط رأسه .. وكان الصديق فى مثل عمره ، ومكان اللعب هو مخزن التبن الملحق بالدار ، وكان يتميز بالدفء فى ذلك اليوم البارد بل ربما كان هو المكان الجاف الوحيد وسط الثلوج التى كانت تغطى كل شىء .

وكانا قد صنعا عشا وسط أكوام القش الدافىء وجلسا جنبا الى جنب وراحا يتأملان فى صمت جذوع الأشجار التى تعرت عن أوراقها وبدت ضعيفة هزيلة ترتعش من قسوة الريح الباردة .

كان اسم الصبى الآخر « بروس » .. ذلك الاسم الذى ما زال آشبى يكره تذكره حتى الآن ..

وأخرج بروس من جيبه شيئا عرضه عليه وهو يقول فى صوت كان جديرا به أن يشتم منه رائحة الخطر ..

ــ ماقولك فى هذا ؟.
كانت صورة فوتوغرافية متوسطة الحجم ..

وشعر بوجنتيه تلتهبان احمرارا .. وبحلقه يجف .. بل أحس بجسمه كله يرتعد وكأنه فريسة لخطر جامح لايعرف كنهه ، ولم

يجرؤ على مداومته التأمل فى الصورة .. كذلك لم يجسر على النظر فى وجه صديقه .. حتى لايرى تلك الابتسامة المقيتة التى تتلاعب على شفتيه .

وقد كان ذلك هو شعوره تماما .. أو بمعنى أصح كان ذلك هو نفس ما أحس به بعد كل تلك الأعوام، حينما نظر فى داخل الفرفة..

وكانت الستائر المعدنية مرفوعة .. وضوء النهار يملأ كل شبر فى الفرفة فى جلاء ووضوح .

وكانت الجثة ممددة فى منتصف الفرفة بعرض السجادة الخضراء .. وعيناها مفتوحتان .. وفمها مفتوح أيضا وكأنها تهم باطلاق صرخة انحبست فى حنجرتها ..

وشعر كأنما الدنيا تدور أمام عينيه .. لكنه لم يتهاو ولم يسقط .. وشكر لكريستين صنيعها .. حينما سحبته فى رقة للخارج ثم أغلقت الباب .. وكأنها قد أسدلت ستارا فوق الجثة ، فى الوقت الذى شعر بمقت شديد نحو ولبورن الذى نمت ابتسامته عن أنه فهم سبب ما اعترى آشبى من اضطراب ..

وقال ولبورن :

ـ لقد سمحت لنفسى باستخدام تليفونك للاتصال بقاضى التحقيق واخطاره بالحادث .. وسوف يصل بعد لحظة .

وعاد ثلاثتهم لفرفة الجلوس .. حيث كانت الأنوار الكهربية ما تزال مضاءة .. ولم يجلس سوى ولبورن الذى اختار لنفسه مقعدا مريحا .

ـ ما الذى حدث لها ؟.

ولم يكن فى نيته أن يلقى السؤال بتلك الصيغة .. كان يريد أن يقول :

ـ كيف ماتت ؟. أو ـ كيف قتلت ؟.

لم يلاحظ أى دماء على الجثة .. ولم يستطع أن يجمع أطراف شجاعته ، فقد أيقن أن كلا من زوجته والطبيب يشتبهان فيه ..

والدليل على ذلك سلوك كريستين نفسها ، فهى عندما اكتشفت الجثة لم تتصل به تليفونيا ، كما كان ينبغى ان تفعل باعتباره شريك حياتها ورب البيت ، وكان من واجبها أن تترك له طريقة التصرف فى مثل هذه الظروف .

وكأنما شعرت بما يدور فى رأسه فقالت :

ــ ان الطبيب ولبورن هو مفتش صحة القرية ..

ثم أردفت .. وكأنها تلتمس لديه عذرا .

ــ وهو أول من ينبغى اخطاره فى كل حالة وفاة يشتبه فيها ..

حقا .. انها خير من يعرف ذلك .. فهى تحفظ عن ظهر قلب كل اللوائح والقوانين .. وكل مايتعلق بالاختصاص الوظائفى لكل فرد من رجال الادارة ..

ــ ولقد ماتت بيل خنقا .. ولا شك أبدا فى ذلك . وهذا مادفع الطبيب لابلاغ القاضى فى ليتشفيلد .

ــ القاضى .. قبل الشرطة ؟.

ــ سوف يقوم القاضى باخطار رجال الشرطة المحليين .

فقال وهويتنهد :

ــ أعتقد أنه من واجبى أن أتصل بالناظر حتى يعلم بأنى ساتخلف من المدرسة اليوم ..

ــ لقد قلت له ذلك تليفونيا .. وهو لايتوقع حضورك فعلا .

ــ وهل أخبرته ؟.

ــ قلت له ان حادثا قد أصاب بيل .. ولكنى لم أذكر له أية تفصيلات ..

ولم ينقم على زوجته هدوءها ورباطة جأشها .. فانه يعلم أنها ليست بليدة الشعور أو باردة العاطفة .. وانما هو من قبيل الروتين الذى أحبته وجعلها تسير فى حياتها على نظام دقيق معين فلا يفوتها شىء حتى فى أحرج الأزمات ..

وكان واثقا تمام الثقة من أنها الآن تضرب اخماسا فى أسداس لما سيثار فى البلدة من القصص الخيالية ، وهل من واجبهـــا أن تبادر بالاتصال بمعارفها وأصدقائها بنفسها .. تليفونيا حتى تنبئهم بالحادث .. قبل أن تصلهم أنباء خاطئة مضللة من مصادر أخـرى معادية ..

وبدأ يستعيد هدوءه .. فخـلع قبعته ومعطفه .. وقال فى صوت طبيعى ..

ـ الأفضل أن أدخل سيارتنا فى الحظيرة حتى أخلى الممـــر لما سيفد من سيارات المسئولين .

وفكر فى ارتشاف جرعة من الشراب ترطب حلقه . ولكنه نحى ذلك الخاطر جانبا .

وفى اللحظة التى كاد يبرح فيها الحظيرة لمح سيارة « بل ريان» تصعد التل..وكانت تجلس بجواره سيدة صغيرة لا يعرفها..وفهم أنهم حينما كانوا يتحدثون عن قاضى التحقيق ، لم يقصـــدوا غير « بل ريان » ..

وأذهلته المفاجأة .. فهو لم يتقابل معه الا مرات قليلة تعـد على أصابع اليد الواحدة ، ولم يتآلف معه فقد كان يعتبره مخـلوقا تافها ثرثارا .. خفيف الحركة .. كثير الجلبة .

وحينما استدار داخلا لاحظ مرة أخرى ذلك المعطف الأحمـر القانى يبدو فى نافذة آل نيشان ..

ـ هالو !.. قل لى .. ما الذى حدث يا سبنسر ؟ لقد تلقيت الاشارة الموجزة وأنا فى البيت ـ هل قتل أحد ؟.

ـ ستعلم كل شىء . الطبيب هو الذى استدعاك ..

كان يعلم من تجاربه .. انه حينما يجد أحد تلاميذه فى مثـل هذه الحالة النفسية من الترقب واللهفة .. فالأفضل أن يتـركه كما هو حتى يهدأ .

قال القاضى :

ـ هذه هى سكرتيرتى .. الآنسة مولر .. لابأس من أن تخلعى معطفك ياآنسة مولر .. وتعدى كراسة مذكراتك للعمل ..

وكان يتلعثم كلما ناداها بلقبها .. كأنما قد اعتاد في أمكنة أخرى أن يدعوها باسمها مجردا ..

واعتذر لكريستين .. لتصرفه دون تكليف كما لو كان في داره .. ثم قال :

ـ هل تسمحون لنا .. لحظة ؟.

وانتحى بولبورن جانبا ، وكانا يتحدثان بصوت خافت وهما ينقلان البصر بين الزوجة والزوج . ثم دلفا الى غرفة النوم تاركين بابها مفتوحا .. ولكنهما أوصداه بعد لحظة .

لماذا تضايق سبنسر حينما لمح الآنسة مولر .. التي كانت قد خلعت قبعتها ومعطفها وحذاءها المطاطي الطويل .. وراحت تمشط شعرها ؟.

وسألتها كريستين :

ـ هل ترغبين في احتساء فنجان من القهوة يا آنسة مولر ؟.

ـ بكل سرور .

وعندئذ فقط اكتشف سبنسر انه في الفترة الوجيزة التي استغرقها في قطع المسافة للمدرسة ـ ولايتجاوز ذلك دقائق قليلة بحال من الأحوال . في هذه الفترة الوجيزة كانت كريستين قد اتيح لها أن تتزين وترتدي ثيابها كما اعتادت أن تفعل في ظروف أخرى أكثر صفاء وهدوءا .. لم يكن وجهها أكثر امتقاعا من أي يوم آخر ، بل كان طبيعيا للغاية .. واذا كان قد خالجها أي شعور بالقلق أو الانفعال .. فلم يكن يبدو الا في عينيها اللتين كانتا لاتستقران على شيء واحد .

وقال ريان مرة أخرى :

ـ أتسمحان لي باستخدام التليفون ؟ مكالمة أو مكالمتين ؟.

واتصل ريان بالشرطة المركزية ..مع أحد الضباط الذي بدا انه يعرفه شخصيا .. وبعد ذلك اتصل بالشرطة المحليين وفي هذه المرة كان يعطي أوامره بوصفه السلطة المختصة بالتحقيق .

ونظر الى كريستين وهو يقول معتذرا :

ـ يبدو أن مضايقاتنا لكم اليوم لن يكون لها آخر .. وسوف أطلب منك أن تسمحي لنا باستعمال هذه الغرفة. هل انت في حاجة الى منضدة صغيرة تكتبين عليها يا آنسة مولر ؟.

ـ سوف أستند الى مسند المقعد .. وهو يكفي .

قال ريان :

ـ أرى أن نخلد الى الراحة .. حتى يصل الملازم آفريل من الشرطة المركزية .. كذلك سيصل احد أصدقائي القدامى من شرطة الولاية .. وحتى ذلك الحين .. سوف أوجه اليكما بعض الأسئلة .

وغمز بعينيه للآنسة مولر .. وكأنه يقول لها « استعدي » .

ثم نظر الى آشبي .. وبعد ذلك الى كريستين .. واستقر رأيه أخيرا على أن يسألها هي أولا اذا شاء أن يحصل على أجابات صريحة واضحة .

ـ أولا .. ما اسم الشابة الصغيرة من فضلك . لا أذكر اني قابلتها معك من قبل !.

ـ انها تقيم معنا منذ شهر فقط .

والتفتت للسكرتيرة .. وهي تملي عليها الاسم :

« بيل شيرمان » .

ـ هل تمت بصلة الى عائلة صاحب المصرف في بوسطون ؟.

ـ لا .. انها من فرجينيا .

ـ هل هي احدى قريباتك ؟.

ـ ليست قريبة لي ولا لزوجي .. كانت والدتها « لورين شيرمان » صديقتي أيام الدراسة .. حين كنا في الجامعة معا ..

وجلس آشبي بجانب النافذة غارقا في أفكاره عابس الوجه .

كان لزوجته عدد لايحصى من أولئك الصديقات لاتنقطع عن مراسلتهن في مختلف انحاء البلاد .. وتتحدث عنهن باستمرار في كل حين وخاصة على وجبات الطعام .. وتدعوهن أمامه باسمائهن المجردة .. وكأنه يعرفهن حق المعرفة .

وطالما سمع عن لورين ولكنها لم تكن الا مجرد اسم كباقى الأسماء . كان يعلم أنها تقيم فى مكان ما فى الجنوب .. ويتخيلها فتاة طويلة القامة خشنة مسترجلة تكثر من الضحك والقاء النكات والدعابات .. وترتدى ثيابا قصيرة صارخة اللون ..

وظلت كريستين شهرا كاملا تتلقى منها كل يوم خطابا ..
« أغلب الظن أن مسألتها لن تنتهى الا بالطلاق .. »
« أهى غير سعيدة ؟. »

ثم تمضى فى حديثها : ترى هل يقبل زوجها رفع دعوى طلب الطلاق ؟ وهل سيستعين عليها السفر الى مدينة «رينو» أم يشرعان بهفى فرجينيا ؟ فقد كانت العلاقات المالية بينهما مختلفة ومعقدة.. ويشتركان فى بيت كبير ربما اصبحت له قيمة كبرى فى يوم من الأيام ..

ثم بدأت مشكلة حضانة ابنة لورين تظهر فى الوجود .. وكان سبنسر يظنها طفلة بين العاشرة والثانية عشرة من عمرها ذات ضفيرتين ترسلهما بشريطين خلف ظهرها ..

ويبدو أن لورين قد كسبت قضية ضم ابنتها لحضانتها اخيرا ..

ـ لقد خرجت المسكينة مثخنة الجراح وقد أنهكت المعركة قواها .. وأصبحت معدمة لا تملك مليما . وترى نفسها مضطرة للسفر الى أوربا حيث يقيم بعض أقاربها .. لعلها تجد من يمد لها يد المعونة ..

وكان عليه أن يتأهب للانصات وهى تتحدث عن لورين أيضا .. على العشاء . وفى نفس الموعد . قبل تناول الفاكهة ..

ـ يخيل الى أنها عاجزة تماما عن توفير مصروفات الدراسة لابنتها علاوة على المأكل والمأوى .. كما أنها لا تستطيع اصطحابها معها فى رحلتها الطويلة قبل أن تتأكد من أن وصولها لتلك الأسرة سيقابل بالترحاب . ولذلك فقد عرضت عليها أن ترسل «بيل» للاقامة بيننا بضعة أسابيع ..

وعلى هذه الصورة .. دخل اسم تلك الفتاة حياته ..

وذات يوم رق هواؤه .. بدت صبية كستنائية الشعر لم يلق اليها بالا .

كانت بالنسبة اليه ابنة صديقة كريستين .. الصديقة التى لم يرها ابدا .

وكان يراها جالسة تتحدث مع كريستين .. كما تتحدث النساء .

وحقا .. كانت بيل فى سن عجيبة .. فقبل عامين لم تكن الا طفلة .. وبعد عامين آخرين .. قد تقابلك فى السهرات والحفلات وتحدثك وتحدثها كفتاة ناضجة مكتملة الأنوثة ..

انها فى طور المراهقة الخطير .. فى الدور الذى يتقابل كبار التلاميذ للخروج مع أمثالها فى الهواء الطلق !.

ولم يظهر اى ضيق أوعدم ترحيب بها .. كذلك لم يتجنبها او يتحاشى الاختلاط بها . فقط كان يسرع الى « وكره » بعد العشاء فى وقت مبكر .

وكانت كريستين تجيب عن أسئلة المحقق .. فنهض سبنسر بعد أن اكتشف فجأة أن الطباق قد فرغ من الكيس الجلدى الذى يحمله فى جيبه . وكان فى نيته أن يحضر كمية منه من الوعاء الكبير .. وتنبه بغتة حينما سمع ريان يدعوه فى حدة :

ـ الى أين ياصديقى العجوز ؟.

ترى ماسبب تلك المداعبة المتكلفة ؟.

ـ سأحضر بعض الطباق من غرفتى .

ـ ولكنى أريد أن أوجه اليك سؤالا أو اثنين ..

ـ سأعود بعد ثانية واحدة ..

وتبادل كل من ريان والطبيب النظرات فيما بينهما ..

ـ أرجو الا تسىء تأويل كلامى ياسبنسر .. ولكنى أرى من المستحسن ان تبقى هنا .. فالشرطة على وشك الوصول حيث يبدءون عملهم بأدواتهم وأجهزتهم .. وأنت تعرف ذلك . ولابد انك قرأت شيئا عنه فى الصحف ، الصور الفوتوغرافية ، ورفع

البصمات والاختبارات الفنية ، وما الى ذلك من « الروتين »
وحتى ينتهوا من كل هذا .. لا ارى من الحكمة ان تمس شيئا .
وتحول الى كريستين واستطرد يقول :

ـ ذكرت ان والدتها موجودة الآن فى باريس .. وانك تعرفين عنوانها حاليا . وسوف نقرر بعد لحظات ارسال برقية لها حتى تحضر الى هنا .

ثم قال مخاطبا سبنسر :

ـ قالت زوجتك انك لم تبرح البيت طول ليلة امس ..

ـ هذا حق .

ويبدو أن ريان وجد من الضرورة أن يحمى نفسه .. مثل أى جبان .. خلف ابتسامة مصطنعة يحاول أن يصبغها بالبراءة .

ـ لماذا ؟.

ـ لأنى لم أشعر بالرغبة فى الخروج .

ـ ولكنك تلعب البريدج . أليس كذلك ؟.

ـ أحيانا .

ـ وتجيد تلك اللعبة .. أليس كذلك ؟.

ـ بلى .

ـ واتصلت بك زوجتك تليفونيا من دار آل ميشيل فى الليلة الماضية .. وأخبرتك بأنهم سلعبون شوطا جديدا .

ـ وقد أجبتها بأنى مشغول بما كان بين يدى من عمل .. وانى سآوى الى فراشى بعد ذلك مباشرة .

ـ هل كنت فى هذه الحجرة ؟.

وكان قد نظر الى التليفون .. اعتقادا منه بأنه الآلة الوحيدة فى البيت .. ويأمل فى نفس الوقت فى أن يعدل سبنسر أو يتناقض فى أقواله .

ـ لقد كنت فى غرفتى .. وهى أيضا المصنع الصغير الذى أقضى فيه وقتى ..

ـ هل صعدت الى هنا .. لترد على التليفون ؟.

ـ لا ..

- هل شاهدت الآنسة شيرمان عندما حضرت ؟.

- لم أشاهدها حينما حضرت . ولكنها جاءت الى غرفتى تلقى على تحية المساء ..

- وكم مكثت فى غرفتك ؟.

- لم تدخل غرفتى .

- ماذا تعنى ؟.

- وقفت فى مدخل البـاب . وأذكر أننى دهشت حينمـا رفعت رأسى فاذا بى أراها واقفة هناك لأنى لم أسمع وقع أقدامها عند حضورها .

وكان يجيب فى ايجاز وبلهجة جافة فيها خشونة وتحد .. وكأنه يريد من ريان أن يتـأدب معه . بيـد أنه لم يكن ينظر نحـو ريان .. بل للسكرتيرة التى كانت ماضية فى الـكتابة .

- هل أخبرتك بأنها ذاهبة لتنام ؟.

- أنا لم أعرف ماذا قالت . كانت تحدثنى دون أن يـكون فى استطاعتى أن أسمع حرفا وطنين المنشار يغطى صوتها .. وحين أوقفت المنشار كانت قد انصرفت .

- واعتقدت أنت بأنها ذهبت الى فراشها ؟.

- هذا جائز جدا .

- وكم كانت الساعة وقتذاك ؟.

- ليست لدى أدنى فكرة عن ذلك .

هل أخطأت ظنونه حينما ساورته الأوهام بأن كريستين ... التى كانت حتى تلك اللحظة تقف بجانبه مشجعة.. قد بدأت تبدى امتعاضها من طريقته فى الاجابة ؟ ربما كان ذلك لنعرة فى طبيعتها المحبة للنظام ، واحترامها لرجال العدالة والقانون. لاشك انه كان يسوءها أن يظهر سبنسر تلك الخشونة ومظاهر العداء لضيفهما الذى هو أكبر سلطة فى التحقيق للولاية كلها ! ولكن سبنسر كان لا يحب من يشغل تلك الوظيفة ولم يحترمه من قبل .

ـ هل كنت تحمل ساعتك معك ؟.

ـ كلا ياسيد ريان .. تركتها فى غرفة النوم حينما كنت أبدل « بنطلونى » .

ـ اذن فقد صعدت لتبدل ثيابك ؟.

ـ تماما ..

ـ وما الحكمة فى ذلك ؟.

ـ لأنى قد انتهيت من تصحيح أوراق التلاميذ . وكنت ساشرع فى عملى على المنشــار .. ولابد أن أتلوث من غبار الخشب .

وأدرك الطبيب ولبورن بأن سبنسر يوشك ان يفقد أعصــابه، فاسترخى تماما فى مقعده ومضى يحدق فى السقف وهو يشــعر برضاء المتفرج على مسرحية بدات تأخذ شــكلا مسليا ممتعا .

ـ وهل كانت تلك الشابة الصــغيرة ـ بيل ـ فى غرفتها حينما صعدت ؟.

ـ لم تكن قد حضرت بعد .

ـ معذرة .. ولكن كيف عرفت أنها لم تكن فى غرفتها ؟ أرجو الا تغضب يا آشبى . انما نحاول أن نصل للحقيقة ، ولست .رتاب ابدا فى براءتك .. ولكن من واجبى أن اعرف كل ماحدث بالتفصيل فى ليلة أمس . لقد كنت فى غرفتك . حسنا . وكنت تصــحح كراسات التلاميذ .. جميل جدا .. وحين انتهيت من ذلك صعدت لتبدل ملابسك . والآن .. أنا أسألك :

ـ أين كانت بيل فى تلك اللحظة ؟.

وكاد أن يجيب .. ودون تردد :

ـ كانت فى السينما ..

ولكنه شعر بحاجة للتريث ووزن الــكلمة . وربمــا لأنه رأى السكرتيرة تسجل كل حرف ينطقه .. ترى متى انطلق لاستبدال ثيابه ؟ هل فعل ذلك قبل عودة بيل أو بعدها ؟.

ولكن ذاكرته .. كانت صفحة بيضاء كما يحدث كثيرا لبعض التلاميذ فى الامتحان .

وبدأت كريستين تقول :

ـ طالما انه كان وقتذاك يشتغل أمام منشاره ..

بالطبع ! طالما انه كان يشتغل امام منشاره حينما رأى بيل .

ولقد كان فعلا يشتغل على منشاره فى تلك اللحظة بكل تأكيد ، وكان يرتدى بنطلونه المصنوع من الفانلة الرمادية .. اذن .. كان قبل ان تصل بيل .. حين صعد لابدال ثيابه .

ـ أرجو الا تجيبى دون أن يوجه أحد اليك سؤالا .. كنت تقول ياسبنسر أنها حضرت لتلقى عليك تحية المساء ولم تلبث الا لحظة .. ما طول تلك اللحظة ؟ .

ـ اقل من دقيقة .

ـ أكانت ترتدى قبعتها ومعطفها ؟ .

ـ كانت ترتدى قبعة رخوة « بيريه » سمراء .

ـ ومعطفها ؟ .

ـ لاأتذكر معطفها .

ـ لقد اعتقدت أنها عائدة من السينما .. ولكن أليس من الجائز ان تكون قد جاءت لتخبرك بأنها خارجة ؟ .

ومرة أخرى تدخلت كريستين فقالت :

ـ لم تكن لتخرج مرة أخرى فى تلك الساعة المتأخرة ..

ـ هل تعرفان مع من ذهبت للسينما ؟ .

ـ لن يكون عسيرا معرفة ذلك .

ـ أكان لها صديق من الشبان ؟ .

ـ جميع الفتيان الذين تعرفوا بها كانوا يحبونها .

ولم تكن كريستين على عكس زوجها تشعر بأى غضب لتلك الأسئلة المتوالية . ومع ذلك فلابد أنها كرهت تلك الظلال التى حاول ريان القاءها على فتاة فى رعايتها .

ـ هل من شخص معين كان يخصها بعنايته ؟ .

ـ لم ألاحظ أبدا شيئا من هذا القبيل .

ـ لم تكن تفضى لك بأسرارها فيما أظن .. فكما فهمت .. انتما لم تعرفاها الا منذ شهر .. شهر فقط أليس كذلك ؟ .

ـ أجل .. ولكنى أعرف أمها جيدا .

واها لك ياكريستين ! وما أطيب قلبك دائما ! وما العلاقة بين الأم وطباع ابنتها ؟.

ووصلت سيارتان .. وقفتا في المشي وكلتاهما تحملان أرقاما حكومية .

وكان يقود الأولى جندي بثيابه الرسمية .. وخرج منها اللازم أفريل يرتدي ملابس مدنية، على حين خرج من الخلفية رجل متوسط العمر مجعد الوجه .. ومشى في أدب واحترام الى الضابط ... وعرف آشبي انه رئيس الشرطة المحلية .. وكان يرتدي ملابس مدنية أيضا ـ ولكنه لم يعرف اسمه ..

وتصافح الرجلان ووقفا يتبادلان الحديث برهة وهما ينفضان الثلج عن أحذيتهما ، ورفعا أبصارهما الى الدار ، ثم حولاها ناحية بيت آل نيشان .. ولابد أن الضابط أفريل قد لمح جزءا من جسم السيدة بنشان وثوبها الأحمر وهو يختفي سريعا من النافذة .

ونهض بل ريان لدى دخولهما واقبل عليهما محييا .. وكذلك فعل الطبيب . وتصافح الجميع وكان لأفريل ابن في مدرسة كرستفيو ولكنه لم يكن من تلاميذ آشبي ، وكان الوالد رجلا أنيقا أشيب الشعر جميل الوجه .. وعيناه زرقاوان .. فيهما الكثير من الخجل والأدب ..

وقال ريان مقترحا :

ـ اذا سمحتما بمرافقتي ...

وتبعهم الطبيب .. ولم يبق سوى السكرتيرة وسبنسر وزوجته ..

وسألتها كريستين :

ـ هل لك في قدح آخر من القهوة ؟.

ـ اذا لم يكن في ذلك أي تعب لك .

وانطلقت كريستين الى المطبخ .. وتركت زوجها ..

قالت الآنسة مولو :

ـ ان بيتكما ليطل على مناظر طبيعية رائعة ..

وكأنما شعرت بواجبها في أن تقطع حبل الصمت بأي نوع من الحديث ، واستطردت وهي تبتسم في ود :

ـ واعتقد انكما تتمتعان هنا بكميات أوفر من الجليد وانتماءعلى هذا الارتفاع .. أكثر مما نشاهده عندنا فى ليتشفيلد ..

وظهـــر المعطف الأحمـر مرة أخرى فى النـافذة .. وكانت ثمة سيدتان تقفان فى المشى وتتأملان سيارات الشرطة من بعيد..

وخرج الرجل القصير ذو التجاعيد من غرفة بيـــل بمفرده . وأغلق بابها .. ثم أقبل على التليفون ..

وطلب مكتبه حيث أعطى التعليمات لمعاونيه بأن يحضروا ومعهم المعدات والأجهزة اللازمة .

وعادت كريستين تحمل اقداح القهوة ..
سألت سبنسر :
ـ هل أعد لك فنجانا ؟.
ـ لا شكرا .
وقال الرجل القصير :
ـ أخشى أن نسبب لك اليوم بعض المضايقات يامسز آشبى .

وحينما خرج الباقون من غرفة بيل صامتين عابســين وعلى وجوههم مسحة من القلق والانزعاج ، كما لو كانوا قد عقدوا فيما بينهم اجتماعا سريا .. نهض آشبى من مجلسه .. فى حركة عصبية وقال :

ـ هل ما ازال ممنوعا من الذهاب الى غرفتى ؟.
وتبادلوا النظرات .. فقال ريان موضحا :
ـ كان من رايى الا اخاطر ب ..
ـ لعلك يا سيد آشبى تتفضل فتولينى شرف مشاهدة غرفتك ؟.

وكان المتحدث هو الضابط آفريل .. فى لهجة رقيقة مؤدبة ..
وتوقف عند أول الدرجات الثلاث ـ كما فعلت بيل فى الليـلة السابقة ـ وبدا كأنه يلقى من مكانه المرتفع نظرة شاملة على الغرفة كلها .. لا كضابط مباحث .. بل كرجل يهوى قضاء وقت فراغـه هو أيضا فى مثل تلك الهوايات .

ـ هل تسمح فتدير منشارك لحظة ؟.

وكان ذلك ضمن أبحاثه .. وظل يتكلم والمنشار يطن ويزن .. كنت ترى شفتاه تتحركان دون أن تسمع صوتا ، ثم أشار الى آشبى أن يوقف المحرك .

ـ من الواضح انه من المستحيل أن تسمع ما يقوله أى انسان من هذا المكان بين أزيز المنشار وطنينه ..

ولبث برهة يتحدث حديثا وديا .. وتفرج على المنشار وابدى اعجابه بطريقة عمله ، كذلك قرأ عناوين الكتب التى يجمعها آشبى وأظهر ارتياحه اليها .. وجلس فى المقعد الجلدى القديم ذى المسندين واشاد بما لقيه من راحة ومتعة خلال الدقائق التى قضاها ثم نهض وهو يقول :

ـ لابد من ان أصعد الآن .. فأمامنا عمل شاق .. انت لاتعرف شيئا . أليس كذلك ؟.

ـ لقد رأيتها آخر مرة حين كانت فى مدخل الباب حيث تقف انت الآن .. وحسبت من حركات شفتيها فقط أنها كانت تقول لى « طابت ليلتك » ولكنى لم أسمع حرفا مما قالته ..

ـ ألم تسمع أو تلاحظ شيئا قبل أو بعد ذلك ؟.

ـ لا شيء .

ـ أظنك قد أغلقت الباب الخارجى ؟.

وتريث سبنسر برهة يفكر ..

ـ اظن ذلك .. أجل .. انا متأكد من انى فعلت . اذكر أن زوجتى كانت قد أنبأتنى تليفونيا بأن المفتاح معها .

وفوجىء بتجهم يبدو على ملامح آفريل السمحة .. فأسرع يقول :

ـ أتعنى أن شخصا ما لابد قد اقتحم الباب الخارجى ؟.

وما كان له أن يتعجل فيلقى ذلك السؤال .. فليس من شانه أن يصل الى تلك النتيجة .. التى لا تأتى الا رويدا .. وبعد مقدمات كثيرة وفحص عميق لكل ظروف الحادث .. هذا ما فهمه من ملامح الضابط الذى أومأ برأسه باشارة خفيفة غامضة قد تدل على الايجاب .. ثم استأذن فى الانصراف .

وظل آشبى ـ بلا سبب يدعوه لذلك ـ جالسا فى عرينه فترة امتدت الى خمس دقائق . الأمر الذى أسف له فيما بعد ..

لم يطرده أحد من غرفة الجلوس .. بل لقد رضى من تلقـائه أن يحبس نفسه فى غرفته ويغلق الباب عليه .. بعيدا عن مجريات الامور ، لا يسمع الا صوت أقدام تروح وتجىء ، وسيارتين فقط تقفان فى المشى .. على حين انطلقت سيارة واحدة منصرفة ..

لماذا سلك سلوك الطفل العنيد الغاضب ؟.

انه لواثق .. من أنه حينما ينفرد فيما بعد بكريستين .. (والله وحده يعلم متىيقدر له الانفراد بها ؟) سوفتوجه اليه لوما خفيفا وعتابا رقيقا على حساسيته المفرطة .. فكل أولئك الناس ـ وخاصة ريان ـ انما يقومون بتأدية واجباتهم ولا يريدون به شرا ..

ولكن .. هل ستجد الجراة فتعترف له صراحة .. بأنهـا هى الأخرى قد ارتابت فيه حينما اكتشفت مقتل « بيل » مما دعاها للاتصال مباشرة بالطبيب ولبورن ؟.

ومرة أخرى .. فقد حسابه للزمن .. لم يدر بخلده أن ينظر فى ساعته التى يحتفظ بها فى جيبه ..

وكانت زجاجة الشراب .. الزجاجة التى اعتاد أن يتناول منها جرعتين كل مساء .. كانت فى الخزانة .. وشعر بشوق شديد اليها .. ولـكن لم يكن معه كأس .. وهو يكره أن يشرب من فم الزجاجة .. كذلك لم تتجاوز الساعة ـ على أكثر تقدير ـ الحادية عشرة .. وهو موعد مبكر ـ فى ظنه ـ عما اعتاد أن يشرب فيه .

وفوق كل ذلك .. لم الحاجة للشراب ؟.

كان يمر بلحظة يأس مؤلمة .. لحظة أحس فيها بنفس الشعور الذى ساوره حين رأى ابتسامة (بروس) صديقه الطفل الشرير .. تلك الابتسامة الخبيثة النكراء .. والتى عذبت ضميره سـنوات طويلة ..

وها هم أولاء الآن يعاودون وضعه على آلة التعذيب .

بيل ؟ انه لم يفكر فيها أبدا .. كامرأة .

واذا كان قد نظر الى ساقيها ذات مرة .. فبنفس النظرة التى يلقيها الى ساقى السكرتيرة الدميمة .. الآنسة مولر ..
ولم يعجبه فى السكرتيرة اهتمامها أن تبدو ظريفة .. كذلك لم تعجبه حركاتها. بل انه يشعر بالاحتقار نحو هذا النوع من النساء..

وخيل اليهم انهم يسحبون شيئا ثقيلا من الأثاث فوق الأرض. ربما كانوا يفعلون ذلك بحثـــــا عن أدلة مادية أو آثار .. ترى هل سيعثرون على شيء .. وأى نوع من الأدلة والبراهين يريدون ؟.
منذ برهة .. وجه اليه الضابط سؤالا ..

ويل له ! كيف غاب عنه ذلك ؟ انهم يبحثون فيما اذا كان قــد أغلق الباب حقيقة أم لا .. الباب الأمامى الذى يغلق عليهم جميعا بطبيعة الحال . ومما يؤكد انه كان مغلقا ، أن كريستين التى عادت فى ساعة متأخرة من الليل لم تلاحظ شيئا غير عادى ، ولو كان الباب مفتوحا او مكسورا لما فاتها ذلك ، ولما طرق النوم عينيها قبــــل أن توقظه وتسأله ايضاحا . مما يعنى أن الباب الأمامى كان موصــدا فعلا . والواقع انه يكاد يكون واثقا من أنه أوصده بنفسه .
والأمر اذن غاية فى الغرابة .

كاد يصعق حينما تبلجت له الحقيقة .. وأدرك انه مادام هو ليس الذى قتل بيل .. فلابد أن أحدا قد دخل الدار خلسة !. ذلك هو الأمر الحيوى الخطير الذى لم ينتبه اليه من قبل .

الحقيقة البسيطة المفزعة والواضحة .. هى أن حادث القتــل قد وقع تحت سقف بيته وعلى قيد خطوات قليلة منه ـ فكيف لم يشعر بالقاتل حين دخل البيت وحين ارتكب جريمته .

وشعر بالبرودة تسرى فى جميع أطرافه .. خيل اليه ان الاتهام يمسه عن قرب .. وأن ثمة خطورة حقيقية تهدده بوســـــيلة ما لا يدرك مصدرها ..

ولقد كان يود لو استطاع أن يؤكد لنفسه أن مرتكب الحـادث غريب عن المنطقة .. ملتاث أو مجنون .. ولكن كيف يستطيع أن يقنع نفسه بذلك والأغراب الذين يجولون فى البــلاد والقرى على

غير هدى .. ينقطعون تماما فى شهر ديسمبر حيث تغطى الثلوج الطرق ويتعذر السير فيها .. ويستحيل على أى آدمى المبيت فى العراء وفى زمهرير الشتاء ! ثم كيف يتسنى لأى متشرد ان يعرف أن فتاة صغيرة تقطن فى هذا البيت بالذات .. وفى تلك الغرفة بعينها ؟ بل كيف يتسنى له الدخول والخروج بلا دنى صوت أو حركة ؟ .

وشعر برعدة قوية .. لابد أنهم كانوا يقدرون كل تلك الاحتمالات وهم يتشاورون فى تلك الغرفة ..

حتى اذا كان هناك من تبع بيل واقتفى أثرها من السينما حتى البيت .. فقد كان من اللازم ان تفتح له الباب بنفسها وهذا بعيد عن المنطق تماما .. اذ كان فى وسعه أن يهاجمها فى طريقها للدار دون أن ينتظر حتى تأوى الى غرفتها بين جدران بيت تسطع فيه الأنوار .. فيعرض نفسه للفضيحة والقبض عليه من أهله وسكانه؟.

ولكن كيف عرف ذلك الغريب أن لبيل غرفة مستقلة ؟.

واحس بالضعف .. بل فقد بغتة كل ثقته بنفسه .. وخيل اليه ان الدنيا كلها تدور أمام عينيه .. وان العالم كله يتهاوى ويسقط حجرا حجرا فوق رأسه ..

فذلك الذى ارتكب الحادث .. مهما يكن امره .. لابد انه كان يعرف بيل . ويعرف البيت ..

فهو اذن ينتمى الى مجتمعهم . رجل تعرفه هى . رجل تردد على البيت .. وما من ريب فى ذلك .

واضطر أن يجلس .. فلم تعد ساقاه تقويان على حمله ..

ذلك يعنى بالضرورة .. أن القاتل صديق .. شخص قريب جدا منها ...

وشعر كم كان تافه التفكير .. حين غضب من اسئلة ريان.. وحين اجابه فى تحد ودون أن يخطر بباله ان قاضى التحقيق كان يوجهها وفى ذهنه فكرة قائمة .. تهدف الى غرض ما معين ..

فلو أن شخصا معينا قد ارتكب هذه الجريمة البشعة ...
ولكن ما جدوى الهـــرب من الواقع ؟ لمـاذا لا يكون هو ذلك الشخص بالذات ؟.

هذا هو محور تفكيرهم جميعا وسبب تلك النظرات النكراء .. والابتسامات الصفراء التي لم يستطع احتمالها ..

وربما .. بل من المؤكد ان ذلك ما ساور كريستين ايضـا .. شأنها شأن الآخرين ..

ولعله قد توهم اشياء لا وجود لها .. وهم لا يرتابون فيه .. أو لديهم ما يبعثهم على ابعاد الشبهة عنه .. فهو لا يعرف وجهات نظرهم . ولم يوجه اليه أحد اتهاما بعد .. أو ربما يكونون قد عثروا على ضوء ينير لهم الطريق الى الحق والصدق ؟.

ترى .. هل اخطأ في فهم تلك النظرات الحانيـــة .. التي كانت تنبعث من عيني الضابط افريل حينما كان معه في عرينه ؟ والتي أكدت له أنه يعطف عليه ويشاركه في شعوره ؟ لقد خيل اليه ان أمارات التصديق كانت بادية في وضوح على وجهه..ولكنه لم يصارحه برأيه او بما انتهت اليه أبحاثه . وربما كان على حق بحكم منصبه في مثل تلك الظروف ..

وهاتف آخر .. لو كانوا يشكون فيه حقا .. هل كانوا يتركون معه الآنسة مولر في غرفة واحدة وليس معهما أحد .. هذا غير محتمل .. كذلك .. لم يكن في منظرهم وهم يخرجون من الغرفة ما يوحي بأنهم يرتابون في امره .. وان كانت ملامح الجد والقلق قد بدت واضحة عليهم .. ربما كانوا يقدرون كل الاحتمالات ..

واستيقظ من افكاره وهو يقرض أظافره .. على صوت يناديه:
ــ تستطيع أن تصعد يا سبنسر ..

وكأنهم هم الذين حجزوه .. ولم يحبس نفسه باختياره ..
ــ ماذا هناك ؟.

ــ السيد ريان يرغب في الانصراف .. ويحب ان يوجه اليـك سؤالا أو سؤالين .

ـ ولاحظ على الفور ان الطبيب ولبورن غير موجود ، ولم يعرف الا مؤخرا ان الجثة قد نقلت الى حانوت متعهد نقل الموتى وان الطبيب كان تلك اللحظة منهمكا في تشريحها ..

كذلك لم يشاهد الملازم آفريل ..

أما الرجل القصير رئيس الشرطة المحلية .. فقدجلس فى أحد الأركان بعيدا يحتسى قدحا من القهوة .

قال ريان :

ـ اجلس يا مستر آشبى !

أما كريستين .. فكانت تقف بباب المطبخ .. غير واثقة مما اذا كان يجب عليها أن تبقى أم تنصرف ..

وتساءل صاحبنا .. لماذا يخاطبه ريان بتلك اللهجة الرسمية ويدعوه بلقبه .. بعد أن كان يناديه باسمه المجرد ؟.

الفصل الثالث

كانا يقفان امام النافذة ، لايفصلهما سوى مقعد واحد ومنضدة صغيرة وقد اخذا يتأملان السيارة وهى تنصرف حاملة ريان وسكرتيرته .

واذ انفرد آشبى بزوجته .. وضمتهما جدران بيتهما وحدهما أخيرا .. شعرا بشىء كبير من الحرج وهما يتبادلان النظرات .

كان راضيا عن زوجته .. وفوق ذلك كان فخورا بها . ويشعر بأنها غير مرتاحة فى نفس الوقت لسلوكه مع هيئة التحقيق . ذلك السلوك الجاف الخشن الذى لم يكن له ما يبرره .

ـ ما رأيك فى قليل من الطعام ؟ لا حاجة للاعتذار لأنى لم أشتر شيئا من السوق ..

وكانت تتحدث عن الطعام فى يسر وبساطة .. وكانت على صواب .. فذلك يساعد على تصفية الجو حتى تمضى الأمور

كالمألوف . واخذت تفرغ منفضة السجائر حيث ترك عقب سيجاره الكبير ..

وكان ريان يدخن طول الوقت ويتحدث وسيجاره الضخم بين شفتيه .. وبين حين وآخر كان يمسكه بين أصابعه فى أعجاب وحب .. كأنما هو الذى يمده بكل تلك الاسئلة المحرجة اللعينة ويساعده على التفكير..

سألته زوجته :

ـ هل أفتح علبة من اللحم المحفوظ ؟.

ـ أفضل شخصيا علبة من السردين .. أو أى طعام بارد .

ـ مع شىء من السلاطة ؟.

ـ لو سمحت ..

واذ انتهت الصدمة .. فقد شعر بالتعب والارهاق ، وربماكان مخطئا ولكنه يعتقد أنه مر بمرحلة كبيرة من ذلكالعذاب الشديد.. ومازال امامه شوط طويل عليه أن يقطعه ، وسوف يعودون بكل تأكيد . الواحد تلو الآخر .. وسوف تظهر أمور عليه أن يوضحها.

وتنهد بارتياح لأنه اجتاز بنجاح كل تلك الاختبارات الدقيقة.. فى مواجهة ريان ..

لقد أقلقه .. منذ وقت مضى وحينما استدعوه من غرفته .. أن يرى كريستين تغادر الفرفة بمجرد أن شاهدته وتساءل لماذا تنصرف فى اللحظة التى يحضر هو فيها ؟ ثم فهم حينما شاهد وجه ريان .. انها انما تفعل ذلك بناء على تعليمات صدرت اليها .

ولقد جعلته تلك الملاحظة .. ينتبه الى نفسه ويفكر قبل ان يتحدث .. وخاصة أن عبارة «مستر آشبى»المغلفةباللهجة الرسمية بعثت فى نفسه شعورا بأن ما سيجرى بينه وبين ريان ليس من نوع الحديث المتبادل المرسل ،بل هو مناقشة حادة قد تتوقف عليها حياته ومصيره .

وكان ريان يلعب معه لعبة القط والفأر ، مستعملا معه كل حيل قاضى التحقيق فى الاستجواب فهو يخرج المنديل من جيبه وينظر فيه وينشره ثم يطبقه قبل أن يدفن فيه أنفه ، أو يدير سيجاره بين

اصبعيه ويتأمله كأنما يقيس ما تبقى منه ، أو يستدعي منه حقيقة غابت عنه .

كذلك ضاعف من توتر اعصابه .. منظر رجل الشرطه القصير وهو يحدجه بنظراته التى تمتلىء ريبا وتقطر شكا واتهاما ..

قال له ريان أخيرا :

ـ لن أطلب من سكرتيرتي أن تقرأ لك اقوالك التى ذكرتها في بداية التحقيق ومنذ وقت قصير ـ فأنا أظنك تذكر ما قلت ولا ترغب في تعديلها أو مناقضتها . ففي الليلة الماضية نزلت الى غرفتك لتصحح أوراق تلاميذك وكنت ترتدى (البدلة) البنية التى ترتديها الآن .

ولم يكن قد سبق أن جاء على لسان أحد .. موضوع البدلة البنية .. أمام آشبى .. واذن .. فلابد أن زوجته هى التىأضافت تلك المعلومات .

ـ وما ان انتهيت من عملك ، حتى صعدت مرة أخرى ، وذهبت الى غرفة نومك وأبدلت ملابسك .. وارتديت هذا البنطلون .. اليس هذا هو البنطلون الذى ارتديته فعلا ؟.

ونظر ريان من فوق رأس سبنسر .. مخاطبا رجل الشرطة القصير ..

ـ لو سمحت يا سيد هولوى ..

وتقدم رجل الشرطة .. وكأنه أحد كتبة محكمة الجنايات .. وبين يديه بنطلون .. وقميص ..

ـ هل تعرف هذا ؟.

ـ نعم .

ـ اذن فهذا ما كنت ترتديه حينما هبطت مرة ثانية الى غرفتك وحين عادت الآنسة شيرمان للبيت ؟.

ـ هذا ما كنت ارتديه حينما رأيتها تقف على باب غرفتى ..

ـ شكرا .. هذا يكفى يا سيد هولوى .

ولابد انه كان ثمة اتفاق بينهما .. اذ ان السيد هولوى لم يعد الى مقعده ، بل ارتدى معطفه ثم قفازه الصوفى السميك ..وحمل

تحت أبطه حزمة الثياب التى عرضها منذ قليل .. وانطـــلق الى الباب ..

ـ ينبغى الا تؤاخذنا يا مستر آشبى .. هذه مجـرد اجراءات شكلية .. والآن . سأطلب منك أن تتريث وتفـكر بعمق .. وان تبحث فى ذاكرتك وتتدبر مليا وفى تأن شديد .. ثم تجيبنى فى النهاية بصدق .. ودون أن يغيب عن بالك أنه ربما طلبوا منك أن تعيد ما ستقوله مرة أخرى بعد حلف اليمين ..

ويبدو أن ريان كان معجبا ببلاغته وانشائه ..

ـ هل أنت واثق من أنك ـ فى الليلة الماضية ـ لم تضع قدمك فى أية لحظة فى أى غرفة خلاف ما ذكرت لنا .. وعلى وجه الحصر غرفتك التى تشتغل فيها ، غرفة نومك ، حمـــامك ، مطبخـــك بطبيعة الحال غرفة الجلوس التى تضطر للمرور فيها ؟.

ـ انا واثق من ذلك كل الثقة ..

وعلى الرغم من وثوقه فانه شـــعر ببعض الشك يتسرب الى نفسه.

ـ اترغب فى أن أعطيك فرصة اخرى للتفكير ؟ .

ـ لا ضرورة لذلك .

ـ اذن . فى هذه الحالة .. أطلب منك ايضاحا يا مستر آشبى عن دليل قوى عثرنا عليه يؤكد أنك لم تدخل فقط الى غرفة نوم الآنسة شيرمان .. بل دخلت حمامها كذلك ولا حاجة بى لأن أذكرك وهذا منزلك الذى تعرف دقائقه ـ بأنه لا يمكن الوصـــــول الى الحمام دون اختراق غرفة النوم ... ولسوف أعلم نفسى الصـــبر حتى تجيب !.

وفى تلك اللحظة .. شعر بحاجة شديدة ماسة لمن يساعده .. وكم كان يحب لو نظر فى وجه كريستين المتورد المشجع يلتمس منها العون والتأييد . وادرك لماذا حرص ريان على أن يبعـــدها خارج الغرفة ..

لقد كانوا يشتبهون فيه قطعا . بل لقد وصلوا الى مرحلة كبيرة في الاتهام .. أثناء وجوده في غرفته !.

وغمغم يقول وهو يمسح العرق الذى تصبب فوق جبينه :

ـ لم أدخل غرفتها بتاتا ..

ـ ولا حمامها ؟.

ـ ولا حمامها بداهة ..

ـ أرجو أن تغفر لى الحاحى .. واصرارى على طلب الحقيقة ، فلدينا ما يؤكد العكس .

ـ أنا آسف .. ولكنى لا أستطيع الا أن أكرر أنى لم أدخل غرفتها أبدا ..

وكان صوته قد بدأ يرتفع .. واحس بأنه سوف يرتفع حتى يصل لدرجة الصراخ اذا أصر ريان على التحرش به .

ولكن ريان بدأ يتلطف فى حديثه .. قال :

ـ لا أجد حاجه لأن ألف وأدور مع شخص على جانب كبير من الثقافة مثلك يا آتشى .. لقد كان الاخصائيون هنا يبحثون فى مكان الحادث .. ولقد عثروا فى أحد الاركان .. وبين فراغ صغير فى البلاط على آثار غبار تبين أنه نفس غبار الخشب الذى يوجد بين ثنايا ثيابك نتيجة نشر الخشب بالمنشار .. ولسوف يؤكد التحليل انه يطابق الغبار فى غرفة عملك ..

وصمت ريان . وهو يتأمل سيجاره فى شغف شديد ..

وبدأ سبنسر يجتاز أشق خمس دقائق فى حياته ..

لم يكن يشعر بأى خوف أو فزع .. فهو واثق من انه برىء .. وواثق من أنه سوف يجد الدليل على ذلك مستقبلا ، ولكنه .. فى تلك اللحظة .. كان عليه أن يجيب قاضى التحقيق ، وكان من المهم جدا أن يقنعه بتفسير كاف لذلك اللغز المحير ..

وكان لغزا محيرا حقا !.

فهو ليس ممن يسيرون فى نومهم .. وكان واثقا من انه لم يضع قدمه فى غرفة بيل فى أية لحظة من الليلة السابقة ..

قال القاضى :

ـ وربما زعمت انها حين جاءت لتلقى عليك تحية المساء .. طار بعض الغبار من منشارك تعلق بثيابها .. لقد قام الملازم آفريل بتجـربة ذلك حينمـا رافقك الى غرفتـك .. ووقف حيث قلت ان الآنسة شيرمان كانت تقف وطلب منك أن تدير المنشـار .. وعندما عاد .. لم يكن أى أثر للغبار لاصقا بثيابه ..

اذن .. فالضابط آفريل .. معهم أيضا .. وهـو الذى كان يظنه فى صفه وبجانبه ! وما كانت تلك الرقة والمودة التى أبداها الا شركا .. اتفق مع ريان على أن ينصباه له .

ـ أمازلت لا تستطيع أن تتذكر ؟.

ـ لا .

ـ سأترك لك فرصة كافية للتفكير ..

وكان آشبى يجلس على المقعد ذى المسندين بجوار النافذة .. وتصادف أنه وهو يفتش بين ثنايا ذاكرته ، قد رفع عينيه .. واذا به يلمح المعطف الأحمر القانى يبدو فى النافذة البعيدة ، وفى هذه المرة لم يظهر ليختفى سريعا ، بل شاهد وجها ينحنى للأمام قليلا .. وعينين سوداوين تحدجانه فى جرأة ..

وعجب لذلك .. لأنه لم يكن أمرا طبيعيا . فقد كان هو وزوجته يتجاهلان أسرة نيشان دائما . ومع ذلك فقد كان فى وسـعه أن يقسم غير حانث بأنها كانت تحاول أن توحى اليه شيئا ما .. ربما كانت رسالة خفية .. أو اشارة مبهمة تريد أن يفهم الغرض منهـا لمصلحته ..

وكان ريان قد أخرج ساعة من جيبه وامسكها فى راحـة يده وكأنه يقيس الزمن فى مباراة رياضية هامة .. قال :

ـ ولقد غاب عنى أن اذكرك يا مستر آشبى .. أنه سواء كنت متهما أو شاهدا أو محجوزا تحت التحقيق .. فمن حقك أن تمتنع عن الاجابة الا فى حضور محاميك .

ـ ومن اكون الآن ؟.

ـ شاهد .

وابتسم في ضيق .. واختلس نظرة أخرى تجـــاه دار آل ليشان ..
وكانما خجل من أن يلتمس المعونة الخارجية .. تحرك من مكانه الى مقعد آخر بعيد عن النافذة .
ـ حسنا .. هل عثرت على الجواب ؟.
ـ لا .
ـ الا تعترف بأنك دخلت غرفة نوم الفتاة ؟.
ـ لم يحدث ذلك اطلاقا ..
ـ أتريد أن تقدم ايضاحا ؟.
ووثب من مكانه فجأة .. وهو يضحك .. ضحكة انتصـــار صادرة من أعماق قلبه ..
لقد عثر على التفسير .. في اللحظة التي اشتد فيها يأســـه واعترف فيها بالفشل .. وكان الأمر في غاية البساطة حقا .
ـ لم يكن ذلك ليلة أمس حينما دخلت حمام « بيل » .. ولكن الليلة التي سبقتها ، وكنت حقيقة أرتدى البنطلون الفانلا لأني كنت اشتغل في غرفتي عندما حضرت الى زوجتي وأخبرتني بأن شماعة المناشف قد سقطت من مكانها على الجدار مرة أخرى .
وشعر بالعرق الغزير يغمر جسمه كله .. وهو يستطرد :
ـ لقد سبق ان سقطت ثلاث أو أربع مرات قبل ذلك .
ـ وما دليلك على ذلك ؟ .
ـ تستطيع زوجتي ان تؤكد هذا ..
ونظر ريان الى باب المطبخ بطريقة معينـــة .. وفهم آشبي ما يقصده .. ولكنه التزم الهدوء .
كانت معنى تلك النظرة انه من المحتمل جدا أن تكون كريستين واقفة خلف الباب تنصت للحديث ، ولن يوافقها قلبها الطيب على تكذيبه .. وفي الوقت نفسه ربما اعترض قاضي التحقيق قانونا على أن يأخذ شهادة الزوجة لصالح زوجها ..
وصاح آشبي وهو يرفع سبابته ، وكأنه تلميذ صغير استبدت به الحماسة ليجيب عن سؤال حير جميع رفاقه في الفصـــل ..

ـ انتظر لحظة ... ما اسم هذا اليوم ؟ الاربعاء ؟
وبدأ يذرع الغرفة ذهابا وايابا ..
ـ اذا لم أكن مخطئا ، فالأربعاء هو موعد السيدة ستورجس عند آل كلارك ..

ـ عم تتحدث ؟.

ـ انني اتحدث عن المراة التى تقوم بتنظف بيتنا . فهى لاتأتى الينا الا مرتين كل اسبوع . الاثنين والجمعة . وقد قمت بدق الشماعة فى الحائط أمس الأول .. أى يوم الاثنين .. ولابد أنها لاحظت انها مخلوعة بالنهار ..

وأمسك بسماعة التليفون ومضى يدير القرص يطلب رقم السيدة كلارك ..

ـ معذرة لازعاجك يا مسز كلارك . هل السيدة ستورجس موجودة ؟ هل تتكرمين بأن تستدعيها للتليفون .. لحظة فقط ؟.

وناول المسماع لريان الذى لم يجد بدا من أن يأخذه ويتحدث مع الخادمة .

وبعد أن وضعها .. لم يذكر حمام بيل بعد ذلك ابدا ..

ألقى بعض اسئلة أخرى .. مجرد شكليات كما لو كان يريد تصفية موقف كان بالغ الحرج .

فمثلا ، كيف لم يلاحظ آشبى ـ قبل أن يأوى الى فراشه ـ ما اذا كانت غرفة بيل مضاءة أم مظلمة وخاصة قد أطفأ نور غرفة الجلوس والردهة الخارجية .. قبل أن يطفىء غرفة نومه شخصيا . فكان جديرا به اذن أن يلاحظ أى خيط من نور ينبعث من تحت عقب بابها .. وأيضا أن كان قد سمع أى صوت مهما كان ضئيلا خافتا فى البيت ؟ وعلى فكرة ما عدد الكئوس التى كان قد تناولها ؟.

ـ كأسان .

ويبدو انه كان هناك لغزا جديدا وراء موضوع الشراب ..

ـ أواثق انت من انك لم تتناول سوى كأسين ؟ وهل كان ذلك

قدرا كافيا لأن يفقدك وعيك فلم تشعر بعودة زوجتك من الخارج وحينما رقدت بجانبك على الفراش ؟.

ـ ما كنت لأشعر بها .. حتى ولو لم اتناول قطرة واحدة من الشراب .

وكانت تلك حقيقة معروفه .. فهو اذ يستغرق فى النوم .. لا يستيقظ الا فى الصباح ..

ـ وما نوع الشراب الذى احتسيته ؟.

وأخبره آشبى . وطلب منه ريان أن يحضر الزجاجة من غرفته.

ـ وهل نشترى دائما ذلك النوع الصغير المفرطح ؟.

ـ غالبا .

عادة قديمة جرى عليها . منذ أن كان محدود الدخل لا يستطيع أن يشترى سوى الزجاجات الصغيرة ..

ـ وهل تشرب الآنسة شيرمان هذا النوع من الشراب ؟.

وكلما سمعهم يذكرون ذلك الاسم .. ثارت أعصابه لأنها بالنسبة اليه لم تكون سوى (بيل) .. وفى كل مرة يتساءل من تكون هذه الآنسة شيرمان ..

ـ لم تشرب أمامى أبدا .

ـ ألم يحدث أن شاركتها فى الشراب ؟.

ـ نعم . لم يحدث بكل تأكيد .

ـ لا فى غرفتك .. ولا فى غرفة نومها ؟.

ومد ريان يده الى حافظته الجلدية التى كانت على السجادة بجوار المقعد حيث كان يجلس،ثم أخرج منها زجاجة صغيرة مفرطحة من نفس النوع الذى يستعمله آشبى ..

ـ يبدو أن الشراب قد أضعف ذاكرتك .. وأنا واثق من انك استعملت هذه الزجاجة ليلة أمس لتسهل لك اغراضك وكنت من الحرص والحذر بحيث أزلت كل بصمات أصابعك عنهـا .. أليس كذلك ؟.

ـ لا أفهم ما تقول .

ـ لقد وجدنا هذه القنينة فى غرفة نوم الآنسة شيرمان..وفى مكان ليس بعيدا عن جثتها . ومختفية خلف مقعدذى مسندين وكما

تراها فهى فارغة ، ولم تهرق محتوياتها على الأرض بل شربت .
كذلك لم نجد أى كئوس فى الغرفة .. ولم تستعمل الكأس الموجودة فى الحمام لهذا الغرض .
ـ هل هى بيل التى ... ؟

من المستحيل أن يصدق ذلك . وكان واثقا من أن الجواب سيكون نفيا ..
ـ ولابد ـ أن تكون بالضرورة ـ قد شربت الشراب صافيا من فم الزجاجة .. وسنعرف بعد قليل القدر الذى تحتويه امعاؤها ..
ويبدو من رائحة فمها أنها قد تناولت منه قدرا كبيرا .. ألم تلاحظ عليها شيئا حينما جاءت تلقى عليك تحية المساء ؟
ـ نعم . لم الاحظ ..
ـ هل شممت رائحة أنفاسها ؟

يا للشياطين ! . أما من نهاية لتلك السخافات ؟ . ان فى أسلوب ريان ما يقطع بالشك والاتهام مع انه لم يرتكب اثما ..
ـ لا ..
ـ ونظرات عينيها .. ألاحظت انها كانت غريبة نوعا ما وهى تنظر اليك ؟ .
ـ لا ..
اجابات مقتضبة على طريقة « ما قل دل » ذلك ما يستحقه الخنزير ريان ! .

ـ أفهمت من حديثها انها كانت ثملة مثلا ؟
ـ لا ..
ـ هل سمعت ما كانت تقول لك ؟
ـ لا ..
ـ آه .. تذكرت انى سمعت منك ذلك قبلا .. اذن . لم يكن فى استطاعتك وانت فى غمرة استغراقك فى عملك ان تتبين ان كانت فى حالة طبيعية عادية أم لا ؟ .

ـ هذا جائز .. ومع ذلك يخالجنى احساس قوى بأنها حين حضرت كانت طبيعية جدا .

لماذا قال ذلك ؟. انه في الواقع لم يكن متأكدا من ذلك تمـاما ولم يسبق له أن انتبه لملاحظة ذلك .. انما هو شعور الولاء والحب نحو كريستين .. ولاء امتد الى أصدقائها .. ومن أجل ذلك فهو يدافع عن سـمعة بيل .. ألم يلحظ كيف كانت ممتقعـة الوجه قليلا .. كما لو كانت حزينة او مريضة ؟.

ـ لا أجد امامى أسـئلة اخرى استطيع أن اوجهها اليك فى هذه اللحظة ، وسوف أكون اتعس انســان على وجه الأرض لو شعرت يا عزيزى سبنسر بأى غضب أو كراهية ضدى فأنت ترى أنه لم تحدث ـ منذ ثلاثة وعشرين عامابالضبطـأى حادثة مماثلة فى هذه المنطقة كلها . الأمر الذى سوف يثير ضجة كبرى ومتاعب كثيرة لنا . وفى ظنى انك ستفاجأ بعد قليل بسيل لا ينقطع من رجال الصحافة ـ وان شئت نصيحتى ـ قابلهم بأكثر ما يمكنك من بشاشة وترحيب ، فأنا أعرفهم ، وهم ليسوا وحوشا أو مصاصى دماء . بل هم قوم طيبون يفهمون مثل هذه المواقف ويحسـنون تقديرها .. أما اذا أدركوا انك تخفى عنهم معلومات ...

وحين دق جرس التليفون امتدت يد ريان للسماعة قبل أن يصل آشبى اليها .. ولعله كان يتوقع المكالمة لأنه كان يضع جهاز التليفون بالقرب من مقعده .

ـ هالو .. اجل .. أنا الذى أتكلم .. أجل .

وكانت الآنسة مولر تبتسم لآشبى وكأنها تريد أن تقول له انها هى شخصيا لا تكرهه أو تعاديه .. وليس لها أى ذنب فيما يفعـله ريان .. أو لعلها كانت تهنئه لأنه أفلح فى اجتياز الامتحان بجدارة.

ـ اجل .. أجل .. فهمت .. ذلك سوف يساعدك فى التأكد من صحة ما لديك .. كلا .. لم تتبلور القضية بعد فى المجرى الذى كنا نتوقعه .. هذا غريب جدا .. أجل .. لقد تأكدت . آه .. الا اذا كان ثمة احتمال بوجود تدبير سابق دقيق .. قد يخدعنا لأول وهلة ..

كان يحاول أن يصوغ كلماته بحيث لا يستطيع آشبى فهمها .

ـ سوف نتناقش فى ذلك مستقبلا .. ينبغى أن أعود الى ليتشفيلد فهم هناك فى انتظارى .. اجل .. كلا .. بل أنت الذى سنتوقع حضورك .. أجل .. اجل .. (وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة) سنضطر الى ذلك . وسـوف اتحدث معه فى هذا الصدد .

ووضع المسماع .. ثم اشعل سيجارا جديدا .

ـ لم يبق الا اجراء شكلى واحد أرجو أن توافق على اتمامه بعد فترة من الوقت .. لا تغضب ! . سوف يحضر ولبورن هنـا حالما ينتهى من عمله .. ولن يعطلك اكثر من دقيقتين فى فحص جسمك .

ووقف ريان .. وكذلك الآنسة مولر التى تحركت نحو الحقيبة الجلدية .

واستطرد القاضى قائلا :

ـ لا أرى ما يمنعنى من أن أفسر لك سبب ذلك الاجراء .. فبقدر ما وصلت اليه ظنوننـا ، نعتقـد أن الآنسـة شـيرمان قد قاومت قاتلها فى عنف .. فقد عثرنا تحت أظافر يدها على آثار دماء .. ليست دماءها . مما يبعث على احتمال وجود بعض آثار سحجات ظفرية بجسم القاتل .

وذهب الى المطبخ ففتحه ببساطة كما لو كان فى داره . قال:
ـ فى وسعك الآن أن تأتى يا مسز آشبى .. فى الواقع لدى سؤال أود توجيهه اليك .

وكان يتحدث بلهجة مرحة ، وكأنه يلتمس منها الصفح .

ـ ما هى آخر مرة شاهدت فيها زوجك فى غرفة الآنسة شيرمان ؟ .

مسكينة كريستين ! . لقد امتقع وجهها .. وهى تنقل عينيها من احدهما للآخر .

ـ لست أدرى .. دعنى أتذكر ..

ـ شكرا .. هذا كل شيء فلا تشغلى بالك .. لم يكن الا اختبارا بسيطا .. لو انك اجبت على الفور (الاثنين مساء) لخطر فى ظنى انك اما رتبت هذه الشهادة مع زوجك .. أو كنت تتصنتين من ثقب المفتاح ! .

ـ ولكنه فعلا كان فى مساء الاثنين .. لأنه ...

ـ شماعة المناشف .. أعرف هذا .. اشكرك يامسز آشبى . الى اللقاء يا سبنسر .. أمتأهبة أنت يا آنسة مولر ؟ .

وتنفس سبنسر الصعداء أخيرا .. لقد اجتاز الاختبار الأول ، وسوف تتاح له فرصة استعادة هدوئه قبل أن يعودوا مرة أخرى .

واذ كانت كريستين تدرك انه سيمضى بعض الوقت قبل أن تعود الأمور فى البيت الى سابق مجراها الطبيعى ، فقد أعدت مائدة الطعام بصفة مؤقتة فى المطبخ .

ـ لماذا يأتى ولبورن الينا مرة أخرى ؟ .

ـ لقد اكتشف آثار دماء تحت أظافر بيل .. وهو يحب أن يتأكد .

ولاحظ ان كريستين فى حالة نفسية سيئة .. وخيل اليه انها تشارك القوم شعورهم بالاتهام والشك .. فوضع يده على كتفها فى رقة .. وسألها بصوت حان :

ـ أمازلت على ايمانك ببراءتى ؟ .

كان يدرك ذلك يقينا .. فقط أراد أن يعبر لها عن شـكره وامتنانه .. فلقد كانا اكثر من صديقين يحمل كل منهما للآخر كل اخلاص ومودة .

وجلسا الى المائدة الصغيرة وابتسم لها ابتسامة خفيفة لم تكن مرحة حقا .. لكنه كان متأكدا من انها وصلت لقلبها .

مادامت هى مؤمنة ببراءته فلن يهمه اى مخلوق وليطلق من شاء لسانه ، وهل للناس شاغل الا التندر والكلام ؟ .

ثم الم يكن زواجهما الذى تم منذ عشرة أعوام مثـار دهشـة الناحية وظل مادة دسمة لحديث الناس فى مختلف الدوائر وكأنه حدث لم يتوقعه أحد ؟ .

كان وقتئذ فى الثلاثين من سنى حياته ، وكريستين فى الثانية والثلاثين .. تقيم مع والدتها . وقد قر فى أذهان الناس جميعا انه قد فاتها القطار ولن تتزوج ابدا .. ولم يلاحظ أحد اهتمام آشبى بها ..

لم يرافقها ابدا .. وكان المكان الوحيد الذى يتلاقيان فيه هو مدرسة كرستفيو .. حيث كانت كريستين منذ وفاة أبيها عضوا فى مجلس الادارة بها . ثم بدأا يتقابلان فى مباريات كرة القدم والبيسبول أو فى الرحلات المدرسية ..

وكانا فى بادىء الأمر يعتقدان بأن ما بينهما ليس الا صداقة بريئة بين زميلين فى محيط واحد ولا يمكن أن تنتهى الى أبعد من ذلك . فقد كان لدى كريستين وأمها ثروة لا بأس بها ؛ أما هو فكان يقيم فى جناح المدرسين غير المتزوجين الملحق بالمدرسة .. وربما أمضى عطلة الصيف جائلا فى فلوريدا أو المكسيك أو كوبا أو اى مكان آخر .

ولا يعلم احد بالضبط كيف تم ذلك . ولا يستطيع ايهما أن يحدد سبب اتخاذهما تلك الخطوة فى النهاية . فقبل أن يتحدثا صراحة فى ذلك كان عليهما أن ينتظرا وفاة أمها التى كانت مريضة بالسرطان ولا تحتمل وجود شخص غريب فى بيتها .

وقالت كريستين :

ـ يخالجنى شعور بأننا سوف نستقبل الضابط افريل مرة أخرى بعد فترة وجيزة ..

ـ نعم .. وأنا أيضا .

ـ كانت شقيقته معى فى المدرسة .. انهما من جوشن !.

وكانت تلك حالهما دواما .. يشتركان فى نفس المشاعر والأحاسيس .. تتجاوب أرواحهما فى حنان ورقة . ثم حينما يستبد بهما الحياء والخجل .. يبدآن فى التحدث عمن عرفاه أو فيما يرغبان ابتياعه من لوازم الدار .

وساءل سبنسر نفسه عما اذا كان ينبغى عليه أن يحدثها عن السيدة نيشان .. وعما خيل اليه انها تبعث اليه برسالة ما من

خلال نافذتها .. ذلك الشعور الذى ما زال يراوده ويلح عليه بشدة .

وكان ذلك غريبا حقا .. فما كان بين الأسرتين أية صلات او علاقات سابقة بالرغم من أنه لا يفصل بين الدارين سوى الطريق ولم يسبق ان تبادلت السيدتان ى حديث ولا حتى كلمة واحدة على سبيل التحية ، وما كان ذلك لخطأ من أسرة نيشان . كذلك لم يكن السبب فى ذلك أسرة آشبى .. أو على الأقل ليس السبب مباشرا .

بل كان السبب الأكبر أن أسرة آشبى من قدامى السكان فى المنطقة .. بل أقدمهم جميعا حينما لم تكن ترى الا بيوتا تعد على الأصابع الواحدة فى المنطقة كلها .. يكونون فيما بينهم ما يشبه الأسرة الواحدة .. ثم بدات بعض العائلات الغريبة من نيويورك والبلاد الأخرى تنزح اليها لتبنى فيلات وبيوتا مؤقتة لقضاء فصل الصيف فقط ، ويصلون فى سيارات فاخرة جدا ولا يلبثون الا أياما ثم يرحلون .

ولكن السيدة نيشان كانت من القليلات اللاتى يمكثن طول فصل الشتاء .. بمفردها .. الا من خادمتين تقومان برعايتها ، ولعل الذى أثار تحفظ أهل البلدة وريبتهم أنها وهى الجميلة الصغيرة الشابة التى تتميز بملامح شرقية وبجمال يبهر الشباب والشيوخ .. كانت تعيش بلا رجل يحميها أو يغار عليها .

وكان السيد نيشان زوجها يكبرها بما لا يقل عن ثلاثين عاما قصير القامة مفرط البدانة كأنه صندوق ضخم اذا مشى أمامك رأيته يباعد ما بين ساقيه ليحفظ توازنه وكأنه امرأة حبلى ! .

فهل يا ترى كانت مبالغته فى الغيرة عليها هى التى حملته على أن يكون معها فى مكان قصى ؟. كان رجلا واسع الثراء موفور المال يمتلك مؤسسة ضخمة للجواهر لها عشرات الفروع فى مختلف أنحاء البلاد .. وكان يأتى فى سيارته الكاديلاك السوداء يقودها سائق طويل القامة . ويمكث أياما قليلة مدتها اسبوعا أو أكثر ،

ولم يأت ذكرهما على لسان آشبى أو زوجته أبدا. كانا يتجاهلان سكان تلك الدار . وهى أقرب الدور اليهما ، بل فى مواجهتهما مباشرة ، وان كانا يشعران تقريبا بكل ما يدور فيه ويعلمان به تماما وكأنهما فى منزلهما .

ويبدو أن الوحدة كانت شاقة على نفس السيدة الصغيرة .. فكنت تراها تخرج عن جادة صوابها فى بعض الأحايين ، وتخرج لتلعب مع الأطفال أمام الباب وكأنها واحدة منهم أو كأنها لا تجد ما يشغلها .. فتخلع ثوبا لترتدى آخر .. حتى يتعدد أشكال ثيابها فى اليوم الواحد دون أن يكون هناك من يعبر عن اعجابه برشاقتها أو جمال هندامها .

فهل كانت تحاول أن تجذب نظر سبنسر ؟. وهل من أجله هو كانت تتعب نفسها وتجهد أصابعها فى الجلوس أمام المعزف حيث تعزف عشرات المقطوعات فى ابداع ومهارة وانسجام لساعات متأخرة من الليل ؟ .

قال سبنسر لزوجته :

ـ لقد حذرنى ريان بأننا سوف نضطر لاستقبال عشرات الصحفيين .

ـ نعم . هذا ما أتوقعه أنا أيضا . هل انتهيت من طعامك ؟.

وخيل اليهما انهما يعيشان فى فراغ كبير .. حتى نظراتهما كانا يتحاشيان أن تلتقى بحركة لا شعورية ولا ارادية .

حساسية تحدث لكل انسان يتعثر فى طريقه فيسقط عفوا عنه أمام الناس .. لابد أن تمر بعد أن ينهض وينظر حواليه يمنه ويسرة فلا يجد أحدا ينظر اليه أو يضحك عليه .

منذ ساعات فقط كانا يتناولان الافطار . وليس ثمة ما يعكر صفاء صداقتهما .. أما الآن ...

ـ هذه سيارة ولبورن ..

ـ سأستقبله .. فما حضر الا من أجلى .

هل يلومه أحد لو كانت فى صوته مرارة ؟ . انه سيعرض جسمه لتعبث فيه أصابع كانت منذ لحظات وجيزة تقطع جثة بيل وتقوم بتشريحها ؟ . هذه الأصابع التى ماتزال بيضاء ناصعة وباردة من اثر ما دلكها الطبيب بالماء والصابون ليزيل عنها آثار الدماء ورائحة الموت ؟ .

ـ أعتقد ان ريان قد أخبرك بمهمتى .. هل تذهب فورا الى غرفتك ؟ .

وكان يحمل حقيبته السوداء وكأنه فى سبيله لزيارة مريض .

وتذكر سبنسر حينما لاحظ بقعة داكنة فوق شفتى الطبيب . انه سمعه يقول مرة انه كلما قام بتشريح جثة اضطر لأن يضع سيجارا ضخما بين شفتيه لا يتركه أبدا وينفث دخانه الكثيف باستمرار حتى لا تزكمه رائحة الموت .

يا للسماء .. من المستحيل أن يبعد ذكرى تلك الفتاة بيل وشبحها الماثل دواما أمام عينيه .

ـ اية سحجات أو خدوش أو ندوب قديمة ؟ .

كانت أصابعه الباردة تتحسس جلده . وبعد لحظة قال :

ـ افتح فاك .. مرة أخرى .. اوسع قليلا .. هذا حسن .

ولابد أن الطبيب كان فى قمة سروره واستمتاعه وهو يشاهد صديقه ريان يسلط سوط عذابه على آشبى .. وها هو ذا الآن يفتش فى جسمه بحثا عن أدلة تكفى لشنقه .

ـ ما سبب هذه الندبة ؟ .

ـ انها عندى منذ خمسة عشر عاما على الأقل ولا اتذكرها .

ـ وهذه ؟ .

ـ حريق .. من اثر انفجار موقد .. قبل الزواج .

ـ حسنا .. تستطيع أن ترتدى ثيابك الآن .. جسمك سليم تماما .

ـ وماذا يحدث لو كنت قد عثرت مصادفة على خدش او سحج .. هب انى جرحت نفسى وانا أحلق ذقنى فى الصباح او المساء ؟ .

ــ ســوف يؤكد المعمــل الجنائى ان كانت دماؤك من نفس الفصيلة .

ــ هب انى ...

ــ لا تفزع .. انهم لن يشنقوك .. فلابد من المرور باجراءات كثيرة معقدة لا تتصورها .. فهذا النوع من الجرائم لا يرتكبه اى انسان .

والتقط حقيبته .. وفتح فاه .. وقد بدا عليه كأنمــا هو بصدد افشاء سر خطير .. ولكنه أغلق فمه أخيرا وهو يقول :

ــ سوف تظهر تطورات جديدة عما قريب .

ثم أردف بعد صمت قصير :

ــ يظهر انك لم تعرف الفتاة جيدا .

ــ انها تقيم معنا منذ شهر فقط .

ــ أكانت زوجتك تعرفها ؟ .

ــ لم ترها من قبل .

وأومأ الطبيب برأسه فى تأن شديد .

ــ واضح انك لم تلاحظ شيئا . أليس كذلك ؟ .

ــ أتقصد موضوع الشراب ؟.

ــ هل أخبرك عنه ريان ؟ . لقد جرعت أكثر من ثلث الزجاجة حتى بدأنا نشك فى أن أحدا سكبه فى حنجرتها ، أو أنها شربت كل ذلك القدر وهى غائبة عن وعيها .

ــ لم نشاهدها أبدا وهى تشرب خمرا ..

وخيل اليه انه يلمح وميضا خبيثا فى عينى الطبيب .. ثم وجه سؤاله الثانى فى الحاح غريب .. وقد تعمد أن يهمس به فى صوت خافت كأنما هو سر بينهما .

ــ الم يلفت نظرك اى شىء شاذ فى سلوكها ؟ .

لماذا تذكر آشبى فى تلك اللحظة تلك الصــورة اللعينة التى شاهدها أيام صباه فى فرمونت .. وابتسامة « بروس » اللعينة

النكراء ؟ . لقد كان الطبيب العجوز يحاول بدهائه ومكره استخلاص اعتراف من آشبى قد يساعد العدالة فى شنقه .
ـ الا تفهم ما أعنى ؟ .
ـ لا أظن أن أحد يفهم ما تعنيه ..
ولم يصدقه ولبورن .. ومع ذلك فقد تردد قبل أن يستأنف حديثه .. فقد كان فى الموقف بعض الحرج .

ـ بالنسبة لك .. هل كانت أكثر من فتاة شقية فى دور المراهقة .. مثل مثيلاتها من الفتيات ؟ .
ـ لم أكن أنظر اليها الا كابنة صديقة عزيزة لزوجنى .
ـ أما حاولت أن تبث لك أسرار قلبها ؟ .
ـ لم تحاول أبدا .. بالتأكيد .

ـ وأنت .. ألم تحاول أبدا التحرى عما يشغل قلبها ؟ .
ـ وما شأنى بها ؟ .
ـ ألم تتردد عليك مرة فى غرفتك فى أثناء غياب زوجتك عن الدار ؟ .
واشتد غضب آشبى .. ومع ذلك فقد أجاب فى اقتضاب :
ـ لم تتردد ..

ـ معذرة .. أنا أشكرك وأصدقك أيضا .. وخاصة أن التحقيق ليس من عملى .

وقبل أن ينصرف الطبيب تريث برهة لتحية كريستين التى كانت تغلق باب الثلاجة الكهربية وناداها باسمها الأول .. فهـو يعرفها مذ كانت طفلة .. وربما كان له فضل ظهورها على وجه الأرض .
ـ هأنذا أسلم اليك زوجك سليما وفى أحسن صحة .
ولم يبد عليها أنها تشاركه فى مرحه . وفى النهاية انصرف وهو يبتسم بمفرده .
ولكنه ترك وراءه بذورا من الشك فى ارض خصبة بالغة الحساسية .

ومن آثار ذلك .. شعور آشبى نفسه بأن لابد وراء أسئلة الطبيب الكثير من الشائعات التى لا يستطيع بنفسه الافصاح عنها ولابد أنها تساور أذهان المحققين ، وقد علم بها الطبيب بحكم اتصاله الوثيق بهم .

وأراد أن يضعها على مائدة البحث والتمحيص مع كريستين حتى يزيل أى أثر احتمالى فى نفسها يتعلق بتلك الفكرة الكريهة المستحيلة . ولكنه فضل الصمت حتى لا يزيد من دقة الموقف المتأزم بينهما .

الفصل الرابع

لم تهب تلك العاصفة العاتية التى تنبأت بها نشرة الأرصاد الجوية ، وكان الثلج قد توقف عن الهبوط ، ولكن ريحا باردة شديدة ظلت تهب طول الليل . وكان سبنسر قد هجع فى فراشه بيد أن النوم أبى أن يزور عينيه فبقى مسهدا أكثر من ساعة ونصف .. وأخيرا تسلل من فراشه فى هدوء وانطلق الى الحمام ، وحينما شرع فى فتح باب الصيدلية الصغيرة محاولا عدم احداث أى ضوضاء توقظ كريستين من نومها، سمعها تناديه من غرفة النوم المظلمة ..

ــ ماذا بك .. أتشعر بشىء ؟.

ــ سأتناول قرصا منوما ..

وادرك من صوتها أنها هى الأخرى قد جافاها النوم .. فقد كان ثمة جلبة فى الخارج لم تنقطع طول الليل عبارة عن طرق مستمر، تبين فى الصباح أن مصدره قطعة من قماش ستارة الشرفة الخارجية السميك كانت الرياح الشديدة قد مزقتها وظلت تضرب الجدار بجوار النافذة طول الليل .

وهدأت الرياح بطلوع النهار . ولكن بعد أن تركت أكواما جديدة من الجليد فى أمكنة تجمع المياه فى الحفر المتناثرة هنا وهناك ، وكان فى وسع الانسان أن يرى من مكانه فوق التل ، رتلا من السيارات وهى تتحرك فى بطء شديد فوق الجليد ، اذ أن عربات النقل المحملة بالرمال لم تكن قد بدأت عملها بعد .

وتناول طعام افطاره كما اعتاد أن يفعل كل يوم ثم ارتدى معطفه وقفازيه ، وحذاءه الطويل ، وقبعته ثم حمل حافظة اوراقه الجلدية ..

وكانت كريستين تنتظره بجوار الباب وعلى فمها ابتسامة جميلة .. ومدت يدها اليه مصافحة وهي تقول .

ـ سوف ترى !.. أيام قليلة .. وينسى الناس كل شيء ! .

وشكرها بابتسامة رقيقة ..

وكانت مخطئة فى ظنونها .. حينما اعتقدت أن ما يزعج خاطره ويقلق باله هو خشيته من مقابلة الناس ، أمثال أولئك الذين يتجمعون عادة كل صباح عند سفح التل ، ومواجهة نظراتهم التى سوف تسلط عليه من كل جانب .. وكلها شك واتهام وريبة سواء أكانت فى السر أم علانية . ولقد كان لها عذرها .. فحتى ساعة متأخرة من الليلة الماضية ، والتليفونات لاينقطع رنينها . وصديقاتها لا يفتأن يتصلن بها من كل فج عميق .. سائلات مستفسرات ..

ومرة أخرى ظهر رجال المباحث والشرطة يحومون فى ضباب الفجر حول الدار يشمون الهواء ككلاب الصيد ، يتنقلون من بيت لآخر يجمعون المعلومات ويستقون الأخبار من أى سبيل ..

ولم تعلم أن ما طرد النوم من عينيه تلك الليلة . لم يكن كلام الناس ، ولم تكن نظراتهم المريبة ، ولا تلك القطعة من القماش التى ظلت ترتطم بحرف النافذة بصوتها المزعج الرتيب .. لا هذا ولا ذاك فى الحقيقة .. بل هو شبح !. لم يكن شبحا واضح المعالم مثلما يراه الانسان فى أحلامه . لأنه لم يكن نائما .. كذلك لم يكن مستيقظا تماما .. أقصد أنه كان فى أول درجات النوم .. وذاكرته ما زال بها احساس خفيف لما يدور حواليه .. أو ما نسميه بأحلام اليقظة .

كانت أمامه .. وعلى أول درجة من السلم القصير .. « بيلَ » بلحمها وشحمها تماما كما سبق أن رآها مستلقية فوق أرض حجرتها حينما فتحوا الباب وجعلوه ينظر اليها . وكانت هناك دقائق لم يكن فى وسعه أن يحققها وقتذاك .. ولكنها أضيفت الى

الشبح .. بعد ان اكملت ذاكرته اللوحة .. من الصورة التى كان « بروس » زميل الصبا اللعين قد عرضها عليه منذ كثير من الأعوام الماضية ..

وكان ولبورن .. يقف أيضا بجوار الشبح .. وفى عينيه ومضات الخبث .. وعلى شفتيه ابتسامة شريرة صفراء وهو قريب الشبه .. لدرجة غير معقولة .. بذلك الوقح «بروس» !
وشعر .. من فرط خجله .. بالعرق الغزير يغمر جسمه .. وحاول جاهدا قدر استطاعته أن يتخلص من ذلك الكابوس المفزع وكان صوت الطرق لا يزال ينفذ من بعيد الى عقله الواعى .. كأنما هى مطرقة القاضى .. يلطم بها ظهر القمطر أمامه حتى يسكت اصوات الجماهير التى كانت تنادى وتهتف بعبارات لم يميزها .. اهى ضده أم لمصلحته ..

وسألته كريستين .. وقد قرأت ملامح الاعياء بادية حول عينيه :
ـ أمتعب أنت ؟.
كان يعلم أن لونه ممتقع .. وقد أحزنه أن يرى .. وفى وضح النهار .. ذلك الشبح مرة أخرى يبدو له بعيدا .. فى أثناء ما كان يرتدى حذاءه الطويل بجانب باب غرفة الجلوس .. عبر النافذة .. حينما رفع رأسه لينظر الى بيت آل نيشان !.
ولابد أنهم سيعلمون قبل سطوع الشمس أن السيدة نيشان كانت تريد أن تقول له شيئا . فلقد رأى رئيس الشرطة وهو يطرق بابها .. ولا يدرى أكان ذلك بعد أن اتصلت بهم تليفونيا .. أم هو أمر اجرائى اقتضته تحريات رجال الشرطة .. فى مجرى أبحاثهم وتحرياتهم ؟. وكان ذلك حوالى الرابعة من مساء أمس .. حينما ترك السيد هولوى سيارته أمام بيت نيشان .. ولم يغادره الا بعد فترة طيبة من الوقت .
ـ هل رأيت يا سبنسر ؟.
ـ أجل ..
وكان يحاول الا يشعر كريستين بأنه مهتم بذلك البيت المقابل.. وساكنته الجميلة الوحيدة .

وفى تلك اللحظة وصلتهما البرقية التى أرسلتها لورين .. تعلن انها غادرت باريس فورا وفى طريقها اليهما . على أول طائرة .

وفى ذلك الصباح .. كانت الستائر ما تزال مسدلة على نوافذ السيدة نيشان . وأخرج أشبى سيارته من الحظيرة وأدارها منطلقا بها فى بطء شديد فوق أرض المشى المنزلقة .. وقبل أن ينحرف بها صاعدا التل ، دون أن يبالى بعيون الناس الذين كانوا يتجمعون هناك .. ويحملقون فيه فى فضول . كانوا مجموعة من القوم .. ليست بينه وبينهم أية صلات وطيدة ولقد حياهم كالعادة بتحريك يده فى الهواء .

واضطر أن يدير ماسحة الماء بسبب الضباب الذى تكاثف على الزجاج الأمامى وحجب الرؤية أمامه .. ثم توقف عند بائع الصحف حيث يجد نسخته من صحيفة نيويورك تايمز كل صباح، ولكنه اختار بدلها نسخة من صحيفتى هارتفورد و ووتر برى المحليتين .

ـ ما أفظع ذلك الحادث يا سيد آشبى .. لا بد أنه سبب لك انزعاجا شديدا .

واصطنع ابتسامة وهو يجيب « نعم » .

ولابد أن الذى كتب مقال صحيفة هارتفورد .. هو ذاك المحرر البدين متوسط العمر ، رث الثياب الذى كان يبدو عليه أنه قليل الاهتمام بمنظره .. ولكثرة تنقلاته وسعيه وراء الأخبار لا يكاد يجد مكانا ينام فيه وهو يذرع الولايات عرضا وطولا فيضى لياليه فى قطارات السكة الحديدية أو فى الحانات والمقاهى أو ربما على قارعة الطريق .

ولقد صعقت كريستين حينما اندفع من الباب .. ولم تكن قد رأته أو سمعت به من قبل .. وهو يتحدث ويتصرف بلا كلفة .. كأنما هو فى منزله .. ويدعوها « سيدتى الصغيرة » أو « سيدتى الرقيقة » وكان يجول فى انحاء البيت وكأنما قد حضر ليشتريه يرفع قطعة الأثاث ويزنها ويقيس قطعة السجاد ويمعن فى النظر فى الجدران والأبواب وينقر عليها بأصابعه ويفحص الطلاء . بل انطلق الى غرفة « بيل » ومضى يقلب الفراش الذى تعبت كريستين فى تنظيمه ..

واخيرا ، حينما القى بجسده الثقيل المجهد فى المقعد الكبير رمق آشبى بنظرة استفهام غامضة .. ولما لم يفهمها آشبى أشار بأصبعه نحو فمه .. يطلب أى نوع من الشراب .

وفى أقل من ساعة .. كان قد أفرغ أكثر من ثلث الزجاجة فى جوفه .. دون أن يكف، طول الوقت عن القاء الأسئلة وتسجيل الملاحظات .. وكأنما قد أقسم أن يملأ كل الوريقات التى معه ..

وفى النهاية ، عند ما أقبل زميله محرر صحيفة « ووتربرى » استوقفه عند الباب وقال له فى صوت الأب الحنون :

ـ كفى ما لقيه هؤلاء الناس الطيبون من العناء بسببى ! لقد اتعبهم وجودى .. انصرف وسألحق بك فى ممر الشرطة .. وسأزودك بكل ما تطلبه من المعلومات .

ـ هل أخذت صورا ؟ .

ـ حسنا .. سوف انتهى منها فورا .

وظهرت فى صدر الصفحة الأولى مجموعة من الصور .. احداها للبيت من الخارج واخرى للفتاة « بيل » وثالثة لغرفتها .

وكان كل ذلك متفقا عليه . أما فى الصفحة الداخلية فكانت ثمة صورة لغرفة آشبى الخاصة أو عرينه كما يسميه ، وكان المحرر قد فاجأ آشبى على غرة منه وهو عاكف على منشاره يشرح كيفية استعماله . وكان فى الصورة علامة × تشير الى الدرجة العليا من الدرجات الثلاث .. المكان الذى وقفت فيه بيل فى الليلة السابقة .

وكان بائع الصحف ينظر الى آشبى فاغرا فاه وكأنه ينظر الى حيوان غريب تحدثت عنه الأساطير ، وكذلك فعل اثنان من العملاء اشتريا الصحف ورمقاه بنظرات غريبة قبل أن يسرعا بالانصراف . وكما لم يكن يتوقع أى خطاب فانه لم يعرج على مكتب البريد وعاد الى سيارته وانطلق بها حتى منتصف الطريق الموازى للنهر .. حيث أوقف سيارته جانبا .

انه لن يجد وقتا لقراءة الصحف فى المدرسة ، ثم انه لم يقابل فى المساء احدا من الرجال الرسميين .. ريان او افريل . او حتى هولوى ، بالرغم من أن الاخير شوهد بسيارته امام دار آل نيشان لكنه لم يحضر لرؤيته .

ولقد أزعجهما ذلك الهدوء ، وأثر على اعصابهما ، اكثر مما أحدثته مأساة الصباح ومتـاعب التحقيق . ولولا حضور رجال الصحافة ، لأمضيا الوقت الباقى من النهار وحيدين ، والنـــاس يمرون امام نوافذ الدار حتى ســـاعة متأخرة من الليل ، وكان صوت الأقدام مسموعا فوق قطع الجليد المجروش .

وكان موقفهما دقيقا وهمـا لا يعلمان ما أسفر عنه التحقيق أو ما استجد فيه ، ولا يستطيعان الرد على الاستعلامات المتوالية من الأصدقاء تليفونيا ، وقد خيـل اليهمـا ان المحققين يتعمدون قطيعتهما . فالاتصال الذى يمكن أن يطلق عليه صفته الرسمية ـ كان اتصال الآنسة مولر ـ سكرتيرة السيد ريان ، لسؤالهما عن عنوان أسرة شرمان بفرجينيا ، وقد أجابتها كريستين بقولها :

ـ أما أخبرتكم بأنكم لن تجدوا هناك أحدا ؟ السيدة شيرمان بباريس . وستصل هنا غدا .

ـ نعرف هـــذا . ولـــكنا نريد عنوانهـــا على أى حال .

وكان الجو داخل السيارة شديد البرودة ، وماسحة الضباب تتحرك على الزجاج الأمامى ذهابا وايابا . ولا تفتأ تذكره بقطعة قماش المقصورة التى ظلت تزعجه بدقاتها المستمرة طول الليل .

وكان المقال طويلا .. ولم يستطع ان يقراه حرفيا . والا فاته موعد المدرسة ، فمضى يجرى عينيه على الصحيفة وراء أى أنباء جديدة .. قرأ :

« والمعروف انه فى كل نوع من الجرائم تتجه شبهات رجال الشرطة أولا نحو أصحاب السوابق . وبالفعل قد تم حتى عصر اليوم استجواب اثنين من أهالى المنطقة كان قد سبق اتهامهما منذ بضعة أعوام فى قضايا خلقيـة ، ويقوم رجال الشرطة بعمـــل أدق التحريات لحصر حركاتهما وسكناتهما خلال الليلة المـاضية » .

وذهل آشبى ، فلم يسمع أبدا بحدوث أية جرائم خلقية خلال الفترة التى أقامها فى تلك الأنحاء ، كذلك لم يرد أمامه ذكر أى إنسان سبق اتهامه بتلك الجرائم ، لا فى المجتمعات ولا على لسان

أصدقائه . وتساءل : ترى من يكون هـذان الرجلان .. وماذا صنعـا ؟ .

« كذلك أشار الطبيب ولبورن ، وهو رجل يتميز بالغموض وقلة الـكلام ، بأن ثمة تطورات قريبة هامة تستبعد تماما النظرية القائلة بأن القاتل لابد ان يكون مجنونا منحـرفا وقطب سبنسر حاجبيه .. كان لديه شعور غامض بأن ولبورن لم يقصد احـدا سواه . وخيل اليه انه يرى الطبيب يبتسم ابتسامته الصفراء مكشرا عن أنيابه فى حقد ، ملوحا له بحبل المشنقة .

« ولم يشأ الطبيب أن يفصح بما يعتقده هو شخصيا ، لكنه لمح من بعيد بأن الفاعل لو كان مجنونا ، فانه قلمـا يفكر أو يعبـأ بذلك التدبير المحكم الذى أخفى به كل آثار جريمته .. الآثار التى يتركها عادة كل مجرم وراءه فى مكان الحادث . كذلك مما يسترعى النظر أن الجانى لم يقتحم المنزل عنوة .. ولو كان غريبـا عن الدار .. »

وحتى لا يفوته موعد المدرسة . راح يمر على كثير من السطور مر الـكرام .

كان فى نفسه شعور عميق بالخجل ، وهو يقف هكذا بسيارته على قارعة الطريق منتحيا جانبـا متوسـط المسافة بين البيت والمدرسة ، كأنه يفر بنفسه منهما معا ، ولا يحب أن يراه احد .

والتقطت عيناه تلك العبارة فى الفقرات الأولى من المقال :

« ويبدو أنه قد بات مؤكدا أن الضحية لم تقاوم قاتلها مقاومة عنيفة ، اذ تبين ان جسمها كله خال من الاصـابات فيما عـدا الـكدمات حول العنق » .

وود لو استطاع الا يفكر فى الأمر بمثل هـذا الحماس وتلك الاهمية البالغة ، وهو لم يطرح الموضوع للمناقشـة حتى فيمـا بينه وبين كريستين .. ولو سمعهما أحد يتحدثان طول الليل عن الجريمة ، لظن انه لا يوجد باعث بتاتا على ارتـكابها . أما وقـد اتجهت أفكار الباحثين الى أن الباعث عليها هو ارتكاب جريمة خلقية ثم قتل الضحية ، فذلك لاشك اتجاه خطير فعلا .

وقلب آشبى الصحيفة ، دون أن يتم قراءة المقــال ، واسترعى نظره فقرة باسم السيدة نيشان ، وكانت تلك هى المــرة الاولى التى يعلم فيها أن اسمها « شيلا » .

« وحقيقة أخرى تمخضت فى أثناء التحريات ربما ساعدت فى تضييق حلقة البحث ، فلم يعــد خافيا أن ما أحــير رجال الشرطة هو كيف استطاع القاتل أن يدخل الدار دون ان يقتحم الباب أو يكسر أحد النوافذ ، مع ما هو معروف من أن القتيلة عقب عودتها من السينما كانت قد هبطت الى حيث يعمــل مضيفها الســيد سبنسر آشبى فىغرفته الخاصة ، ولم تلبث الا دقيقة ثم انصرفت وهو آخر وقت شوهدت فيه على قيد الحياة .

« ففى التاسعة والنصف مساء .. ولا يمكن تحــديد هــذا الوقت بالضبط .. غادرت السيدة شــيلا نيشان مقعدهــا أمام المعزف . علما بأنهــا تملك منزلا يواجه المنزل مكان الحدث تمــاما غادرت معزفها لتستريح قليلا . وتصادف أن ألقت نظرة عابرة من النافذة ، ولاحظت عندئذ شبحين بين ظلال المشى .. عرفت فى أحدهما « بيل شيرمان » وكانت تتحدث مع رجل طويل القامة لم تهتم السيدة نيشان بأن تحقق النظر فيه .

« وبعد برهة دخلت الفتاة البيت بعد أن فتحت بابه الخارجى بمفتاح أخذته من حقيبة يدها ، ثم أغلقت الباب خلفها . ولــكن الرجل لم ينصرف بل ظل واقفا أمام البيت .

« وبعــد دقيقتين او ثلاث .. فتح الباب مرة أخرى . ولم تخرج بيل شــيرمان .. ولم تشاهدها الســيدة نيشان فعــلا .. ولــكنها لمحت يدا تبرز من فجوة الباب ، تناول الرجــل الواقف فى الخارج شيئا ، ما كاد يأخذه حتى انصرف على الفور .

« فهل كان ذلك الشىء يا ترى .. مفتاح الباب الخارجى ؟ » .

« فقد قررت السيدة آشبى بدورها انها كانت قد عطت بيل شيرمان منذ شهر مضى عندما حضرت للاقامة بينهما . مفتــاحا خاصا بها ، وحتى هذه اللحظة لم يمكن العثور على ذلك المفتــاح لا فى غــرفة بيل شــيرمان ولا فى حقيبتها أو فى أى جيب من جيوب ثيابها .

« ولم يهدأ رجال الشرطة طوال أمس ، فاستجوبوا عـــددا كبيرا من شبان القرية وضواحيها ، وحتى صدور هذه الطبعة لم يصل لعلمنا بأن أحدا قرر أنه رأى القتيلة فى السينما أو فى أى مكان آخر .. »

وفوجىء آشبى بصوت نفير احدى السيارات يدوى بشدة بجوار أذنيه .

وكان ذلك هو « هوايت ووكر » والد أحد تلاميذه قادما من أعلى التل ملوحا له بيده محييا .. مما بعث الـكثير من الارتياح فى نفسه .. انها التحية الطبيعية المـألوفة التى تحدث كل يوم وكأن شيئا ما لم يحدث .

ولـكن .. الن يتجاذب ووكر الحديث مع من سوف يقابله من الناس ويذكر لهم انه شاهد الأستاذ آشبى منتحيا بسيارته جانبا من الطريق ؟ .

وبدأ يصعد التل بسيارته .. وهو لايدرى سببا لذلك الحزن الذى يغمر قلبه ..

وكان الطريق مألوفا له.. كل شجرة وكل حجر فيه.. حتى ذلك البناء المنخفض ذى السقف الأخضر الذى أقام فيـه أعواما كثيرة قبل أن يتزوج .. ذلك هو جنـاح العـزاب فى مدرسـة كرستفيو .

ولم يبق من زملائه العزاب سوى فرد واحد ، أما البـاقون فقد تزوجوا ، أو رحلوا الى كليات وجامعات أرقى .

فالمدرسون شأنهم شـأن الطلبة ، يرتقون كل عام من فصل دراسى لآخر ، حتى عام التخرج حيث ينتقلون الى مرحلة أعلى ، وينبغى على طالب الفصل الأول أن يحترم زميله من الصف الثانى وهـكذا .

وكان الأسـتاذ الأعزب .. أستاذ اللغة اللاتينية ، أشـيب الشـعر ينظر اليه باقى المدرسين الذين هم أصـغر منه سنا نظرة تبجيل واحترام .. وينادونه باسمه مسبوقا بكلمة «الأستاذ» .

وترك آشبى سيارته فى مكان انتظار العربات، وصعد فى الدرج ثم نزع حذاءه الطويل ومعطفه الصوفى الثقيل ، وكان باب مكتب

الآنسة كول مفتوحا كالعادة ، وما كادت تلمحه داخلا حتى وثبت من مكانها واسرعت تقول فى لهفة :

ـ كنت أتصـــل توا بداركم لأستفسر عمـــا اذا كنـــا نتوقع حضورك اليوم .

وابتسمت له ، ولا شك أنها كانت مسرورة برؤيته مرة أخـــرى ومع ذلك فقد ود لو لم تحملق فيه ، كما يحدق الانســـــــان فى صديق عزيز يترك فراشه عقب مرض خطير كان يهدد بموته .

ـ سوف يسعد السيد جبس بلقياك ، كذلكجميع الأساتذة .

ومن وراء البـــاب الزجاجى الـــكبير ، كانت الصالة الـــكبرى حيث كان الطلبة يســـتعدون لدخول فصولهم ، وبدأت ضجتهم تخفت وتهدأ رويدا رويدا . وكلما شاهد آشبى منظرهم ، عادت به الذكريات الى طفولته السعيدة .

وافاق على صوت الآنسة كول تخاطبه :

ـ هل تعتقد انه قد يكون أحد أفراد مجتمعنا ؟ .

كانت تسلك نفس طريقة تفكيره ، وطالمـــا ساءل نفسه : ايمكن أن يكون ذلك السفاح المتوحش انسانا تعرفه القرية ويعيش بين اهليها .. وربما يشاركهم فى الطعام والشراب ويداه مخضـــبتان بدماء ضحيته ، ولعله يتأمل فريسة أخرى ؟ .

ـ لست أدرى يا آنسة كول ، ولـــكن تأكدى انه سوف يلقى جزاءه .

ـ لقد اذاعوا نبأ الحادث من محطة نيويورك ضمن نشرة هذا الصباح .

وضم حقيبة أوراقه تحت ابطـــه ، ثم فتح البـــاب الزجاجى وانطلق مباشرة الى فصله .. كان فى اعماقه يخشى الصغار اكثر من الـــكبار ، ربما لأنه تذكر وجه بروس الشقى .. وخيل اليه انهم لا يجسرون على التحديق فيه علانية ، ويتظاهرون باستغراقهم فى الحديث فى اثناء مروره بهم ، وكان يلاحظ الاضطراب باديا على بعض الأولاد كأنما كانوا يلوكون ســـيرته ثم فوجئوا بظهـــوره .. فاسرعوا يغيرون موضوع الحديث فى سذاجة ، فتوقفت الكلمات فى حلوقهم .

كان لهم عذرهم بلا ريب ، فلم تظهر براءته رسميا بعـد .. والى أن يضـع الشرطة القيـد فى معصمى الفاعل الاصلى ، لن يكف الناس عن تناول القضيـة بالبحث والتحليل ، وربما مال بعضهم الى اتهامه ، وحتى لو لم يتهمه أحد ، فهو يشعر بأن الأمور لن تنتهى بسلام . ولا بد أن يخلف الحادث شرخا عميقـا فى مرآة حياته لن يزول ، الى أن يشاء الله .

وما أشد ما أغضبه ريان ـ صباح أمس ـ وساءته طريقته فى التحقيق .. فلقد كان قاضى التحقيق حسيسا وضيعا عاطلا من الذوق ولم يترفق بآشبى وهو يحاوره كأنه مجرم أثيم .

ولـكنه لم يعـد يفكر فى ريان ، بقدر ما شعر بالـكراهية والاشمئزاز نحو ولبورن ونظراته الحادة التى كانت تنفذ فى جلد آشبى كالابر المسمومة . وبسببه .. هو يرى الآن ـ رغم وقـوفه أمام ثلاثين طالبا ـ شبح بيل ماثلا أ ا عينيه تلك الصورة التى يتمنى أن تمحى من ذاكرته ، غرفة النوم حينما فتح الطبيب بابها ودفعه اليها ليرى ما قـد يبدو على وجهه من انفعالات قد تؤكد اتهامه .

ولابد أن كريستين كانت تشك فيه وقتذاك .

فكم تلميذا يا ترى من بين تلك الوجوه المرفوعة اليه يؤمنون فى قرارة أنفسهم بأنه هو الذى قتل بيل ؟ .

ـ آدمز ! هل تستطيع أن تحدثنا عن تجارة الفينقيين ؟ .

وكان يسير ذهابا وايابا فى بطء بين صفوف المقاعد ، وقد عقد يديه خلف ظهره ، ولعل أحدا منهم لم يخطر بباله أن هذا الرجل قد قضى جل حياته بين تلك المقاعد ، بدأ بذلك وهو تلميذ ، ثم بعد ذلك حين امتهن التدريس ، ولم يفكر فى اختيار مهنة أخرى . وحتى حينما تزوج كريستين ، واضطر أن يغادر المبنى الدراسى ليعيش فى منزلها ، شـعر كأنما قد انتزعوه من حقل حبيب الى قلبه . وحياة سعيدة ألفها بين عنابر النوم والمعامل والفصل .

ـ قف يا لارسون ! وصحح لنا الخطأ الذى وقع فيـه آدمز فى التو واللحظة .

ـ معذرة يا سيدى . لم أكن منصتا لما يقول .

ـ جننجز ! »

ـ انا .. لم الاحظ يا سيدى »

ـ تايلور ...

ولم يكن من عادته تناول طعامه فى داره ، اذ كان يتعين على كل مدرس أن يشرف على مجموعة من الموائد التى يجلس عليها التلاميذ ، وفى فسحة منتصف الحادية عشرة القصيرة تبادل بعض العبارات مع زملائه فى موضوعات لا تمس الحادث من قريب أو بعيد وخامره شعور بأن الجميع يحاولون أن يكونوا دمثين معه ، فيما عدا ـ طبعا ـ ريان وولبورن ! .

ولم يشاهد الا لمحة خاطفة من السيد جسس ناظر المدرسة من بعيد وكان يخرج من مكتب ليدخل غيره .

وحينما انفرد بنفسه ليتناول طعام غدائه فى غرفته ، أقبلت الآنسة كرل تقول فى اضطراب واضح :

ـ ان السيد جبس يرجو أن تذهب اليه فى مكتبه .

ولم ينزعج ، وكأنه كان ينتظر ذلك الاستدعاء منذ الصباح أو كأنه لم يعد ثمة ما يسبب له مزيدا من الانزعاج ، بعد ما لقى طول نهار أمس ، فانطلق الى مكتب الناظر وطرق الباب ، ثم دخل وظل واقفا ينتظر .

ـ اننى لفى غاية الحرج يا آشبى . وأرجو أن تعاوننى وتسهل لى مأموريتى .

ـ أنا فاهم .. يا سيدى .

ـ لقد تلقيت بالأمس ثلاث مكالمات تليفونية كانت من الوقاحة بحيث لم تتحملها أعصابى ، ويبدو ان قضيتك قد أذيعت صباح اليوم على الأثير من محطة نيويورك الاذاعية و ...

يا للشيطان ! انه يقول « قضيتك » !

ـ وفى هذا الصباح ، تلقيت أكثر من عشرين مكالمة فى فترة لا تتجاوز ثلاث ساعات ، وفى الحقيقة لم تكن عنيفة أو غير مهذبة مثلما كانت بالأمس ، ويلوح لى أن آباء الطلبة قد بدءوا يدركون أن الأمر بعيد عنك اطلاقا ، ولكنهم فى نفس الوقت يشعرون بأنه

كلما ابتعدت أذهان الطلبة عن التفكير فيه ، كان ذلك أفضل ، وأنا واثق من انك تشاركهم هـذا الرأى أيضا ، ولن يزيدهم وجودك بينهم الا ...

ـ أجل يا سيدى .

ـ بعد أيام قليلة ، يكون التحقيق قد انتهى والشعور العام قد هدأ ..

ـ أجل .. يا سيدى .

وبالرغم من أنه لم يعترف لمخلوق بذلك .. ولـكنه فى تلك اللحظة بالذات .. بكى ! بكى من غير دموع .. أجل . لقد أحس بألم شديد يحرق جفونه ! وربما ترقرقت دمعة واحدة واهتزت أهدابه قليلا . ولم يلاحظ السيد جبس شيئا ، اذ كان آشبى يرسم على شفتيه ابتسامة مشجعة وهو يقول :

ـ سأضع نفسى رهن اشارتك ..

ـ لا ذنب لك فيما حدث حقا ، وانى لأرجو ، انه سرعان ما .. الى اللقاء !

كان ذلك الموقف الذى لم يستغرق سـوى لحظات من أدق وأعنف ما واجه آشبى طول حياته ! بل أكثر أهمية وخطورة مما فى وسع الناظر نفسه أن يقدره !.

وما كان ليدهش أو ليغضب لو أن ذلك قد حدث ممن يتوقع حصوله من ريان مثـــلا ، أو من ذلك الطبيب الذى يعتبره آشبى عدوا طبيعيا له . أما أن يحدث ذلك من مستر جبس .. فذلك أبعد الأشياء عن العقل والمنطق ! .

لقد أمضى جل سنوات عمره متفانيا فى خـدمة الجميع .. وكانوا يرون فيه مثال الصدق والنزاهة والاخلاص وينظرون اليه بكل تقدير واحترام . فلم يتوقع أبدا أن ينبـذ على هـذا النحو لمجرد أن فتاة تدعى بيل لقيت حتفهـا فى ظروف غامضة تحت سقف بيتــه ، فذلك أمر مفزع ، هزه من أعمــاقه هزا ، أمر بعيـد عن التصور حقا ، بل هو الظلم الفادح بعينه !

وادرك انه من الأفضل الا يرهق نفسه بالتفكير .. او يترك قلبه نهبا للهواجس والظنون .
ومضى يلتمس الأعذار لناظر المدرسة ، كان حديثه خلوا من اى نقد او ما يوحى بالشك والاتهام .. وكل ما قاله الرجل فى ادب جم ، انه يفضل ، ولو لبضعة أيام ...
ويبدو أن الآنسة «كول» كانت تعلم ، فما كاد يمر بباب مكتبها حتى استوقفته وقالت له وهى تتكلف المرح :
ـ سوف نراك سريعا ، سريعا جدا ، انا جد واثقة !
كيف وماذا يقول لزوجته .. حتى يفسر لها ما حدث ؟ .
أيقول ان المدرسة التى احبها واخلص لها قد طردته ؟ على الأقل لفترة ما ؟ .
وانطلق نحو سيارته ، وكادت قدمه تنزلق ويسقط على الجليد لولا انه تماسك ، ثم ادار محركها واتجه الى البيت ، وتوقف عند مكتب البريد ، ولم يجد سوى خطابين للاعلان من بعض المتاجر ، ولكن كانت هناك سيدتان من امهات التلاميذ فرمقتاه فى فضول ودهشة ، ولابد أنهما ليستا من اللواتى أزعجن الناظر بالتليفون ، وقد عجبتا حين أبصرتاه يغادر مدرسته فى هذا الموعد .
ولمح أمام داره احدى سيارات الشرطة ، وشاهد الضابط آفريل فى غرفة الجلوس مع كريستين . ونظرت اليه زوجته فى دهشة :
ـ من رأى ناظرنا انه من الأفضل الا يرى الأولاد وجهى .. لبضعة أيام .
وكان يبتسم ابتسامة خفيفة .
وقال آفريل :
ـ لقد سمحت لنفسى ان اتطفل لأجاذب زوجتك اطراف الحديث ، فقد علمت أن السيدة شيرمان على وشك الوصول واردت ان اعرف عنها شيئا قبل ان تحضر عصر اليوم ، وفى نفس الوقت شعرت برغبة فى أن آخذ صورة كاملة عن حياة ابنتها .
ـ سأذهب الى غرفتى .. اذن .

- لا . لا . ليس فى الأمر ما نخفيه عنك . وفى الواقع لم أدهش لما حدث فى المدرسة ، بل كنت اتوقع ان أجدك هنا . واعتقد انك قد اطلعت على صحف الصباح ؟ .

- لم ألق عليها الا نظرة عابرة .

- ان فى بعض ما تكتبه الصحف شيئا من الحقيقة ، والباقى لا يخلو من الخيال ، ومع ذلك فان اللوحة التى رسمتها عن القضية فيها كثير من دقة التصوير .

وكانت كريستين تأتى ببعض الاشارات ، وتحاول توجيه نظر الضابط الى أن آشبى لم يفهم . وأخيرا سألته :

- هل أقدم لك كأسا من الشراب يا سيدى الضابط ؟ .

ووافق آفريل على الفور ، كان فى نيته ان يصبغ زيارته بالصبغة الاجتماعية بعيدا عن الرسميات .

- هل تعلم بأن أول ما حيرنا فى تلك القضية هو الشراب ؟ . فلو أن ذلك الحادث قد وقع فى الطريق وكانت الفتاة من ذلك الطراز الذى نقابله عادة فى المقاهى المنتشرة فى الخلاء ، لكان الأمر أيسر كثيرا .. أما فى هذا البيت ..

وأدرك سبنسر أن آفريل كان يعلم منذ صباح امس أن القتيلة قد احتست كمية من الشراب . وهذا يؤكد أن ولبورن قد شم رائحة فمها بل ربما رأى زجاجة الخمر خلف المقعد ذى المسندين قبل أن يطلب من آشبى الدخول لرؤية الجثة .

وكان لذلك مغزاه لقد رفض الطبيب من أول وهلة فكرة كون الجانى غريبا عن الدار ، وركز كل شبهاته واتهامه فى سبنسر آشبى .

فهل كان فى منظره أو سلوكه ما يثير الشك ؟ أو بعبارة أوضح « هل كانت تبدو عليه أمارات توحى بأنه القاتل ؟

انه لم يكن ليهتم بدراسة الجرائم الخلقية من قبل . ومعلوماته عنها لا تزيد على ما يعرفه اكثر الناس من قراءة الكتب والمجلات .

ولقد ذكرت الصحيفة ان فى المنطقة رجلين سبق لهما ارتكاب

هذا النوع من الجرائم ، ومع ذلك فاكبر الظن انهما ليسا خطرين والا لما تركوهما مطلقي السراح . واكتفوا بوضعهما تحت الملاحظة فحسب . ولا شك فى أنهما نماذج بشرية جديرة بالدراسة .. لسوف يحاول أن يعرفهما ويراقبهما عن كثب .

وادرك من حديث آفريل .. انه انما يردد أصوات الجماهير .. فلو كان الفاعل مجنونا .. أو غريبا .. أو متشردا يضرب فى الأرض على غير هدى .. أو وحشا من أى نوع ، لاختلف الوضع وسهل سبيل البحث .

وكلما تعمق آشبى فى التفكير ، اكتشف من حين لآخر حقائق غابت عنه ، وزادت حيرته وذهوله .

فمثلا ، ما تبين من أن الفتاة قد جرعت كمية وافرة من الشراب القوى برغبتها ومحض ارادتها ، الأمر الذى لا يفعله أى انسان للمرة الأولى ، فهل كانت مدمنة سكيرة ، وهى فى تلك السن الصغيرة ؟ .

كذلك لم تكن قد ذهبت للسينما ، ولم تحضر مع شاب تطوع لمرافقتها الى باب منزلها ثم انصرف بسلام ، وانما جاءت وهبطت لعرين آشبى ، بعد أن تركت رجلا فى الخارج ، رجلا تسللت اليه بعد أن تأكدت من استغراق مضيفها فى هوايته ، وفتحت له الباب وأعطته المفتاح !

فهى اذن .. لم تكن بالفتاة الطاهرة الساذجة الصغيرة التى كان يتصورها ، بل فتاة لا تستحيى من ادخال رجل فى غرفتها .

الم تلمح الصحيفة من بعيد .. ان فحص الجثة قد قطع بعدم وجود أى دليل على المقاومة ؟ .

كل ذلك كان يعلمه ولبورن من بادىء الأمر ، ومع ذلك فلم يستبعد احتمال ان يكون آشبى هو القاتل .

وذلك ما أزعجه وأقلق باله ، فلقد عرفه ولبورن منذ أكثر من عشرة أعوام ، وعالجه أكثر من مرة ، ولعب معه البريدج مرارا .. وكان صديق العمر لكريستين وأسرتها ، ثم انه رجل وافر الذكاء

وخبرته سواء فى مهنته او فى النفس البشرية تفوق بكثير خبرة طبيب القرية العادى .

ومع ذلك فهو يميل للاعتقاد أن آشبى هو الرجل الذى ارتكب الجريمة النكراء .

وكان يحاول طول الوقت جمع الأدلة فى صمت بمفرده حتى يفوز برقبته قبل ريان .

وتذكر آشبى كيف كان يبتسم له فى الصباح ثم حرصه الشديد على فحصه بتلك الدقة المتناهية ، وخيبة أمله التى بدت عليه حين لم يجد اقل دليل يستند اليه .

وتأمل الضابط آفريل وهو يجلس باش الوجه ، يحمل كأسه بين أصابعه ، وشعر برغبة شديدة فى أن يدعوه الى عرينه ويوجه اليه سؤالا هاما :

ـ هل ترى فى تكوينى أو فى ملامحى ما يؤكد اشتباهكم فى أننى القاتل ؟ .

ولكن حال دون ذلك احساس بكرامته ، وفوق ذلك ، لم يشأ أن يثير غبارا من الشك يبدو انه بدأ يهدأ ، رغم ما يجمعونه ضده من الأدلة .. ولكن .. أثمة أدلة ضده حقا ؟ لقد ثبت ان جسمه خال تماما من أى آثار ، على حين قرر الطبيب صديقه ريان من أنه قد عثر على دماء تحت أظافر القتيلة .. ثم .. ذلك الرجل الذى كان يقف خارج الباب وشاهدته شيلا يتناول شيئا من يد بيل فى الظلام .. لم يثبت انها ناولته شيئا . كذلك لم يثبت بالدليل القاطع انها ناولته المفتاح ، ولم يشاهد ذلك احد سوى السيدة نيشان ، فلم لا تكون المذكورة قد تطوعت باختلاق تلك الواقعة مدفوعة برغبتها فى مساعدته ؟ ليس من الضرورى أن يكون الباعث على ذلك هو العطف ، فطالما لاحظ أنها تختلس النظرات اليه من نافذتها باهتمام كبير ، ولعل ذلك من أول الأسباب التى كانت تضطره لعدم التحدث مع كريستين فى شأن اسرة نيشان .

وكان آفريل يقول :

ـ لقد طلبنا من ادارة المباحث العامة أن تنشط بالبحث في فرجينيا ، لأن جهاز البوليس المحلي هناك ضعيف ، وكل ما علمنا منه أنه سبق ضبط الآنسة شيرمان وهي تقود السيارة في حال سكر في الثانية من صباح أحد الأيام .

فهتفت كريستين وقد اتسعت عيناها دهشة !

ـ في سيارة أمها ؟ .

ـ لا بل في سيارة شخص متزوج كان برفقتها ، وقد خففت القضية بسبب مركز ذلك الرجل في المجتمع .

ـ وهل علمت لورين بذلك الحادث ؟.

ـ بالتأكيد . ولن أدهش اذا ما سمعت ان الوالدة كانت تعاني متاعب كثيرة من ابنتها ، ونحن في انتظار وصول تقارير من عدة مدارس كانت الفتاة تذهب اليها .

ـ عجبا . أنا لم الحظ عليها شيئا من ذلك . ولا اي من أصدقائي ، لقد قدمتها لعدد كبير من صديقاتي ، وخاصة ممن لهن بنات .

مسكينة أنت يا كريستين ! انها تلقي اللوم على نفسها ، لأنها لم تتحر سلوك ضيفتها ، وما سوف يجره عليها ذلك من لوم صديقاتها .

ـ انها لم تكن تستعمل المساحيق قط . كذلك قلما كانت تهتم بمنظرها أو هندامها ، حتى لقد كنت كثيرا ما أضطر للفت نظرها بأن تعنى بمنظرها أمام الناس .

وابتسم آفريل وقال :

ـ اتبدو أمها طبيعية في تصرفاتها ؟ .

ـ لورين ؟ انها أحسن مخلوقة في الوجود ! وربما بدا صوتها مرتفعا قليلا ، أو حادة الطبع قليلا ، أو عاطلة من الكثير من صفات الأنوثة . هذا حقيقي ولكنها طيبة القلب وصريحة جدا .

ـ هل تتكرمين يا مسز آشي بتحرير قائمة بأسماء العائلات التي تعرفت بها الآنسة شيرمان عن طريقك ؟.

ـ سأكتبها لك حالا . ان العائلات المذكورة ليست كثيرة ، ولا

تزيد على عشر . هل أكتب لك أسماء تلك التى تخـلو من الرجال ايضا ؟.

وهز أفريل راسه وقال فى مرح :

ـ لا . يكفى ذلك .

واذ مضت الى قمطرها الصغير في الركن المجاور للمدفأة .. تحول آفريل الى آشبى وسأله باسما :

ـ يبدو انك لم تنم جيدا ليلة أمس .

ـ ترى هل كان يهدف الى شيء ما ؟ .

ـ نعم . فى الواقع أنا لم أنم طول الليل . وعنـدما حاولت ذلك فاجأنى كابوس مفزع .

ـ يخيل الى ـ اذا لم أكن مخطئا فى ظنى ـ انك لم تعتـد الخروج مع النساء ولا تميل اليهن كثيرا .

ـ أجل . هذا حقيقى . لقد نشأت على ذلك . ولعل السبب فى ذلك انى لم أتلق تعليمى الا فى مدارس خاصة بالبنين . ولم يكن يباح الاختلاط ، وحين تخرجت ، لم أكن أغادر بناء المدرسة التى أعمل فيها الا نادرا ، وهكذا لم تتح لى الظروف أن أختلط كثيرا بالجنس الآخر ، سواء فى حياتى كتلميذ أو كمدرس .

ـ هل تعلم بأن عرينك قد استهوانى جدا ! اتسمح بأن ألقى عليه نظرة ثانية ؟ .

ونهض آفريل ، وكأســـه ما تزال فى يده ، وأغلق البـــاب وراءه ..

ـ هل أحضرت هذا المقعد معك ؟ .

ـ كان ملـكا لوالدى .. ولعله الشيء الوحيد الذى احتفظت به بعد وفاته .

ـ أمات منذ وقت طويل ؟ .

ـ منذ عشرين عاما تقريبا .

ـ أكان مريضا ؟ ما سبب وفاته ؟.

وصمت آشبى لحظـة ، ونظر حواليـه كأنما يلتمس المعـونة من كل شيء مألوف حوله ، وفى النهاية نظر الى آفريل واجاب :

ـ كان يريد أن يموت .

وكان من المضحك أن يسمع نفسه يقول ذلك ، ولـكنه هـز راسه وهو يستطرد قائلا :

ـ كان ينتمى الى ما نسميه الان بالاسرة العريقه ذات الماضى المجيد ، وتزوج بفتاة لا تقل عنه نبلا ومجدا .. او هذا ما قالته وقتذاك ، ولـكنه لم يسلك السلوك القويم الذى يتفق مع شرف أسرته .

وأشــار آشبى الى زجاجة التراب الذى كان قـد أحضرها معـه ..

ـ وحينما خشى على كرامتــه من فرط ادمانه التراب وحتى لا يسخر الناس منه ...

وصمت ، وفهم الآخر ما يعنيه .

ـ وهل مازالت والدتك على قيد الحياة ؟ .

ـ لا أعلم . وأحسب انها كذلك .

وربت آفريل على مسند المقعد فى حركه عاطفيه . كمـا لو كان يربت على ذراع صديق قديم .

الفصــل الخامس

كانت الساعة قد قاربت منتصف الرابعــة . وبدأت الظلال تنتشر فى غرفة الاستقبال ، ولم تكن المصابيح قد اضيئت بعد . لا فى تلك الغرفة او فى الردهة ولا فى أى مكان آخر خلاف غرفة النوم التى كانت تنبعث منها أصوات عادية تنبىء بأن كريســتين ترتدى ثيابها استعدادا للخروج . وكانوا يتوقعون قدوم لورين بقطار نيويورك الذى يصل فى الرابعة والثلث . والمحطة بعــد ميلين عن البيت . وكريستين ستذهب بمفردها . فجلس سبنسر بجوار المدفأة وأغمض عينيه ، وراح يجذب أنفاس غليونه من وقت لآخر .

وكان ظلام المساء ينشر غلالته فوق القرية ، وأضواؤها تزداد بريقا كلما امتد الوقت .

ولابد ان كريستين كانت فى تلك اللحظة تجلس على طرف فراشها وقد خلعت لتوها الخف لترتدى حذاءها ، حينما انطلق

فى داخل الفرفة خطان من النور الساطع .. عبرا السقف فى سرعة ، قبل أن يتوقفا نهائيا امام باب بيت آل نيشان ، وتعرف آشبى على سيارة السيد نيشان .. وكان السائق قد فتح الباب ثم أغلقه .

كانت سيارة جميلة من أحدث طراز .. لها صوت ليس مثل السيارات الأخرى . حين تقف أو تسير . لقد عاد السيد نيشان ربما لبضع ساعات ، ربما لبضعة أيام ، لايدرى أحد أبدا ، ورمق آشبى نوافذهم وهويتساءل عما اذا كانتالسيدة نيشان قدسمعت السيارة ، وهل ستكلف نفسها عناء النزول لاستقباله . أليس من العجيب حقا أنه وهو الذى يجاورها منذ أعوام ، لم يعرف اسمها الا من الصحف ؟. والآن وقد عرفه ـ بدأ يشعر بأن الاسم يثير الخيال، ويكاد يعتقد أنها قد انحدرت من احدى العائلات القديمة التى تسكن على ضفاف البوسفور فى جزيرة بيرا ..

وجلس آشبى يتأمل اللهب فى المدفأة . واحس برغبة فى النوم ، وكانت السيارة ذاتالأنوار المبهرة قد انصرفت الىالحظيرة وكأنها نمرة متوحشة ، استطاع مروضها كبح جماحها ، وعند ذلك ارتفع صوت سيارة أخرى ذات محرك مدو قديم ، كانت تبذل جهدا لترتقى التل ، وكأنها امرأة عجوز تلفظ أنفاسها الأخيرة .. وعرف انها تتبع محلا للحدادة وصناعة الأقفال فى نيويورك من الكتابة التى ظهرت واضحة على جنبها . وتوقفت هى الأخرى امام بيت نيشان .

وخرج منها ثلاثة رجالوقفوا ينصتون الى رجل ضخم الجثة قصير القامة كأنه صندوق بضائع ، وهو بباب داره يشير اليهم بأن يفعلوا شيئا لم يتبينه آشبى تماما .

ويبدو ان السيد آشبى قد سمع بالحادث وهو فى نيويورك ، وخشى على زوجته من أن يفكر الجانى فى تكرار الحادث معها ، فاستحضر المختصين معه ليضعوا مزيدا من الأقفال المتينة والمتاريس على الأبواب أو ربما جهازا كهربيا يعطى انذارا فى الوقت المناسب.

واندفعت كريستين الى الفرفة وهى تهتف :

ـ هل أبطأت عليك ؟ .

وقبل أن يجيب سمع طرقا على الباب الأمامى وتحرك المقبض فنهض ليفتح الباب واذا به يفاجأ بامرأة أطول وأعرض منه بكثير غريبة الهيئة ، لها منظر الرجال المصارعين ، ترتدى معطفا من الفرو زادها ضخامة ، فوق رداء من الصوف لونه باهت صدىء .

ولم يكتشف كل ذلك مرة واحدة ، لأن كل شىء كان يجرى بسرعة مذهلة ، ولكنه صعق لصوتها الحاد ، ورائحة الشراب المنبعثة مع أنفاسها .

ـ كريستين هنا . اليس كذلك ؟.

ولاحظ لأول مرة ، حينما شرع فى اغلاق الباب ، أن ثمة سيارة أجرة صفراء اللون تقف خلف عربة الحدادين .

قالت :

ـ أرجو أن تحاسب السائق . الأجر متفق عليه من المطار ، ولا فائدة من المساومة ، ثلاثون دولارا .

وهتفت كريستين من غرفة نومها ، وقد سمعت صاحبة الصوت ..

ـ لورين ! ..

ولم يكن معها سوى حقيبة متوسطة الحجم حملها سبنسر بعد أن دفع أجر التاكسى .

وقال السائق :

ـ هل صحيح ما اخبرتنى به عن ابنتها ؟.

ـ لقد قتلت . أجل .

ـ فى هذا البيت ؟ .

واخرج راسه من النافذة ، ليلقى نظرة واضحة ، نفس الطريقة التى تراها من جمهور المتاحف حين يحملقون فى أى شىء ليسجلوه فى أذهانهم ويتحدثوا عنه بعد ذلك مع الدنيا كلها !

وكانت المرأتان تتحدثان بصوت مرتفع وكأنهما على وشك الانخراط فى البكاء ، ولكنهما كانتا تتنفسان فى عمق ، ولم تذرف احداهما دمعة واحدة .

وقالت لورين :

ــ اهنا وقع الحادث ؟ .

وأراد سبنسر أن يواسيها ، لكنه أمسك وقد شعر بخيبة أمل ، فهى وان لم تكن أكبر سنا من كريستين ، لكنها كانت تبدو كذلك فعلا ، وكان شعرها أشيب مشعثا ، وفى وجهها شعرات كأنها اعتادت أن تحلق ذقنها .. ولم يكن يبدو بتاتا .ان هذه المحلوقة الدميمة ، كانت ذات يوم طفلة صغيرة وسيمة خفيفة الظل ، بل على النقيض تماما ، لم يكن فيها ما يشير الى انها والده « بيل » .

ــ الا تستريحين قليلا من عناء السفر ؟.

ــ .. قبل كل شيء .. أريد جرعة من الشراب .

كان صوتها خشنا كصوت الرجال . وحدجت سبنسر مرتين أو ثلاث مرات بنظراتها الحادة المنفرسة .. ثم لم تعد تهتم به بعد ذلك، اكثر من اهتمامها بجدران الغرفة .. رغم علمها بأنها فى بيته .

ــ أبعيد ذلك المكان الذى نقلوها اليه ؟.

ــ خمس دقائق من هنا .

ــ يجب أن أذهب فورا الى هناك .. سوف يتعين على القيام ببعض الاجراءات .

ــ وما الذى تنوينه ؟ هل ستحملينها معك الى فرجينيا ؟.

ــ أوتظنين أنى أتركها تدفن غريبة وحيدة هنا ؟.. لا وشكرا. لاتضيفى ماء ..

وجرعت الشراب صافيا .. ولاحظ سبنسر أن عينيها حمراوان ولم يدر أكان ذلك بسبب الحزن الشديد ، أم لفرط ما احتست من الشراب فى رحلتها . وتمنى سبنسر من أعماقه لو أن ام بيل كانت خلاف هذه المرأة ؟.

وكانت قد وضعت حقيبة يدها فوق المنضدة ومعها مجموعة من الصحف التى اشترتها فى الطريق . ومن بينها صحيفة دانبرى التى مرت بها منذ ساعة فقط . واسترعى نظره عنوان كبير بالمداد الأحمر يشير الى مصرع بيل .. ولكن آشبى لم يمس الصحيفة .

ــ ماقولك فى حمام ساخن يجدد قواك ؟ وكيف كانت رحلتك؟.

ــ لابأس .. فى الواقع لست أدرى .

وكانت ملصقات شركة الطيران ماتزال تلمع على الحقيبة وبجوارها اشارة موظف الجمرك بالطباشير ..

وأخذت كريستين تحاول اقناعها بمرافقتها الى الغرفة الثانية ولورين تتغابى وتصر على عدم الفهم .. وأدرك سبنسر أنها لا تريد أن تبارح زجاجة الشراب بأى ثمن . ولم تتحرك قبل أن يعيد ملء كأسها . وعندئذ نهضت مع كريستين وأغلق الباب خلفهما .

ترى ، هل تعمدت مخاطبته .. كما تخاطب أحد الخدم .. حين أمرته بأن يدفع الأجرة لسائق التاكسى وتركته يحمل حقيبتها ؟.

وكان السيد نيشان فى الجهة المقابلة يذرع الغرفة عاقدا يديه خلف ظهره .. أمام النافذة الكبيرة .. وكأنه يتناقش فى حــدة مع شخص آخر غير ظاهر .. ربما بشأن ماتم من الاحتياطـات .. ولابد أنه كان يحاول اقناع شيلا الجميلة .. بأنه لمصلحتها قد أقام ذلك السياج المعقد من الأسلاك الكهربية .. حتى لاتتكرر المأسـاة .

وشعر آشبى بالضيق .. وكره نيشان فجأة .. برغمه وبـلا سبب مفهوم .

وكان نيشـان أصلع الرأس .. فيما عدا شعيرات قليلة تستطيع أن تحصيها على أصابع يدك الواحـــدة .. مشطت بعناية فائقة بالفرشاة .. حتى تزين قمة جمجمته الملساء !.

وكان وجهه .. ككرة القدم المستديرة .. ناعما .. ولابد أنه أغرقه بالعطور والمساحيق .

وخرجت كريستين من غرفتها تمشى على أطـــراف أصابعها ووضعت سبابتها على شفتيها .. وانطلقت الى التليفون .. وأدارت القرص ، على حين كانت تنبعث من داخل الحمام أصوات كأن امرأة تفرغ مافى جوفها ..

وأدرك آشبى من ملامح زوجته أنها هى الأخرى قد أصيبت بخيبة الأمل لما صـــارت اليه حال صديقتها ورفيقتهـــا أيام الدراسة . .

ــ هالو .. مكتب قاضى التحقيق ؟ أريد أن أتحدث مع السيد ريان .

ووضعت راحتها على البوق وقالت لزوجها فى صوت خافت !.

ـ لقد طلبت منى أن أحدد موعدا .

ثم تحولت الى بوق التليفون وهتفت :

ـ هالو .. انا كريستين آشبى يا آنسة مولر . هل أستطيع أن اتحدث لحظة مع السيد ريان ؟ سأنتظر .. نعم !..

وخفضت صوتها وقالت لزوجها :

ـ انها تريد السفر فورا ..

ـ متى ؟.

ولكنها لم تجد وقتا للاجابة .

ـ السيد ريان ؟ آسفة لازعاجك .. كما اخبرتك . كنت أتوقع وصول صديقتى لورين عصر هذا اليوم بقطار نيويورك ولكنها فاجأتنى بحضورها منذ قليل . أجل .. انها هنا .. كلا .. لم تذهب الى هناك بعد . ماذا تقول ؟. لست أدرى .. منزلى بلا شك رهن اشارتها .. واذا أردت أنت أن تحضر الينا لاستجوابها .. عفوا؟ لحظة واحدة حتى اسألها .. على أى حال ، لن نستطيع الوصول قبل ساعة على الأقل .. أو ربما ساعة ونصف ..

وهرعت الى غرفتها .. وهى تبتسم معتذرة لزوجها الذى لم يتحرك من مكانه .. وكان مايزال يجذب أنفاس غليونه وبعد أن غابت لحظات مع لورين .. عادت مرة أخرى الى التليفون.

ـ هالو .. لقد اتفقنا .. سنذهب مباشرة الى ليتشفلد ... سنحضر فى سيارتى .. خلال ساعة ..

وخرجت لورين من الغرفة وسألت بصوتها المخيف :

ـ ماذا فعلتم بحقيبتى ؟.

ـ حقيبة يدك ؟.

ـ لا .. بل حقيبة ملابسى طبعا ..

وكان آشبى يحلم ببيل .. وهى بعيدة عن عينيه .. قريبة من قلبه .. انها لاتشبه أمها أبدا .. لاشكلا ولا موضوعا .. ولكنه الآن . . قد تبين مع أى نوع من الأمهات قد أمضت تلك المسكينة حياتها التى لم يقدر لها أن تطول !.

وبدا يلتمس لها المعاذير ..

وشعر فى تلك اللحظة أن نفسه تذوب حسرة وحزنا عليها رغم مرور ساعات طويلة على مصرعها ..

فما سمعه حتى ذلك الحين كان يوحى بأن سلوكها لم يكن فوق مستوى الشبهات .. ولكن هل كانت الا طفلة مراهقة ؟..

قالت كريستين :

ـ سنضطر الى تركك ياسبنسر ..

ـ أجل . أعرف ذلك .. الى اللقاء .

ـ نرجو ألا نبطىء عليك .. لورين شجاعة تمتاز بأعصاب قوية .. ولكنها مجهدة جدا من السفر .

وكانت لورين ترمق الزجاجة بعينيها الحمراوين فى شوق . وبدا كأن كريستين فى حيرة . لو أنها حرمتها كأسا أخرى ، فلسوف تصر على ايقافها فى الطريق لتعرج على احدى الحانات.. ولا يعلم الله كم كأسا تحتسيها عند ذاك . وربما صارت فى حالة لن تسمح لها بالمثول أمام المختصين فى ليتشفيلد .. أليس الأفضل أن تعطيها ماتطلبه هنا .. بعيدا عن أنظار الناس الذين سوف يلوكون سيرة صديقتها وبالتالى .. سيرتها ؟.

ـ كأس واحدة لاغير .. ثم ننصرف ..

وأشرق وجه لورين ارتياحا ..

ـ وأنت .. ألا تشربين ؟.

ـ لا .. ليس الآن .. شكرا ..

ـ أنا لا أحب الطريقة التى ينظر بها زوجك الى .. وعلى أى حال .. لست أحب الرجال .

ـ هيا يالورين ..

وساعدتها فى ارتداء معطف الفراء .. وفى حشر جسمها الضخم داخل السيارة ..

وظل آشبى فى مكانه لحظة لايتحرك .. ثم .. حين فرغ الفليون .. نهض لدقه على حرف المدفأة ، واذ استوى واقفا مد يده وتناول احدى صحف لورين .. ولم تزد معلوماتها على ما نشر فى الصحف المحلية .

والأمر الذى استرعى نظره .. هو بيانات أوفى عن الرجلين اللذين سبق أن أشير اليهما فى الصحيفة المحلية . فقد نشرت الصحيفة الحروف الأولى من اسميهما مع لقبيهما مما أتاح لآشبى أن يعرفهما على الفور .. قالت الصحيفة:

« واستجوبت الشرطة شخصا باسم ف. ارفنج فى تحقيق طويل . ولقد استطاع أن يثبت أنه كان بعيدا عن مكان الحادث وقدم شهودا كثيرين على ذلك . وكان قد حكم عليه منذ ثمانية عشر عاما بالسجن عامين لارتكابه جريمة خلقية ، ولكنه .. منذذلك الحين يسلك سلوكا مستقيما ».

« ويمكن أن يقال نفس الشيء عن المدعو د . بول .. الذى حكم عليه فى مثل تلك الجريمة بادخاله مستشفى المجاذيب ــ ثم خرج منها .. وكان سلوكه منذ ذلك الوقت فوق الشبهات » .

ف. ارفنج ! انه العجوز فيشر كما كانوا يطلقون عليه فى القرية مهاجر ألمانى لجأ للبلاد منذ أمد طويل .. ما زال يتحدث بلكنة أجنبية .. يعمل بستانيا فى حديقة مصرفى مشهور يقيم فى نيويورك وكان له على الأقل سبعة أو ثمانية أطفال وأحفاد أيضا يقيمون معه فى بيت واحد .. وكان آشبى يراه فى الصيف كل يوم تقريبا. اذ كان باب الحديقة التى يعمل فيها تفتح على طريقه الذى يسلكه الى المدرسة . وكانت زوجته قصيرة القامة عريضة الصدر تكون شعرها الفضى الأشيب فوق قمة رأسها ..

أما الثانى .. فاذا لم يكن آشبى مخطئا .. فهو يدعى دانبردج وهو مقاول أعمال . رجل ذو ثقافة واسعة فوق مايتوقعه الانسان من شخص فى حرفته . وقد سمع آشبى أنه فعلا كان قد ادخل احدى المصحات بسبب مرض فى الرئة .

وكان هو الآخر زوجا لسيدة عليها مسحة من الجمال .. هادئة الطبع ، دمثة الأخلاق خجولة .. طالما أحبتها كريستين لوداعتها وجمال ملامحها ..

ودهش آشبى .. حينما الفى نفسه يفكر فى جمال النساء .. ان كريستين نفسها .. كانت متوسطة الجمال .. ولكن لم تكن لها تلك الأنوثة الطاغية المتفجرة فى الأخريات .. اللاتى هن محور

تفكيره فى تلك اللحظة . ولا تأثير للسن فى ذلك . فحينما عرفها لأول مرة لم تكن قد جاوزت الثامنة والعشرين ، وامتدت صداقتهما فترة طويلة من الوقت قبل أن يثار موضوع الزواج بينهما .

ولقد رأى فى ألبوم للصور العائلية القديمة .. عدة صور لها وهى ما بين السادسة عشرة والعشرين ولم يتغير شكلها كثيرا عما كانت فى الماضى .

ولم يتذمر أو يتضايق .. فى ذلك الوقت لأنه لم يكن يفكر فى الزواج من غيرها .. وكانت فى عينيه . تشغل مكان الشقيقة أو الأم التى ترعاه وتعدله طعامه وبيته .

بيد أن الأمر مع بيل كان يختلف تماما ..

لم يكن يلقى لها بالا حينما كانت تغدو وتجىء أمامه .. ولكنه يدرك الآن أنها كانت على جمال يختلف عما عهده فى كريستين .. كذلك الحال مع شيلانيشان .. وحتى تلك الفتاة التى تعمل سكرتيرة للسيد ريان .. الآنسة مولر .. والتى لا يعرف اسمها الأول .

وعندما دق جرس التليفون .. ظل فترة طويلة يحملق فيه دون أن يتحرك .. ثم نهض اليه وفى نفسه شعور بالأسف .

ـ هالو .. نعم .

ـ سبنسر ؟

وكانت كريستين هى التى تتحدث .

ـ نحن فى ليتشفيلد .. بمكتب قاضى التحقيق . وقد تركت لورين منفردة بريان وأنا أحدثك الآن من الصيدلية المقابلة .. فقد فكرت فى أن أبتاع مايلزم البيت حتى تنتهى لورين من الاستجواب، ورأيت أن أتصل بك حتى لاتقلق .. كيف أنت ؟

ـ على خير حال .

ـ ألم يضايقك أحد ؟

ـ نعم .

ـ هل أنت فى عرينك ؟

ـ لم أذهب اليه بعد ..

لماذا كل ذلك الاهتمام به ؟ كان جميلا منها أن تسألَ عنه .. بيد انها كانت تدقق فى سؤالها عما يفعله .

ــ انى اتساءل كيف ندبر أمورنا الليلة . هل نرى ان من اللائق ان نطلب منها النوم فى غرفة بيل ؟.

ــ ولماذا لاتنام معك ؟.

ــ الا تغضب اذا ..

لماذا تتحدث فى كل ذلك ؟ انها تعلم أن لورين .. ليست ممن يسهل اقناعها بشىء .. فهى تشق طريقها بقوة عضلاتها .. وتتخذ قراراتها بنفسها !.

وكيف حال ريان ؟.

ــ انه مشغول كعادته . وهناك مجموعة من الناس ينتظـرون مقابلته .. وهم من أبناء قريتنا وخاصة من الشباب والأحداث ..

ــ أرانى مضطرا لوضع السماعة .. فهناك من يقرع الباب.

ــ حسنا .. الى اللقاء اذن . ولاتقلق علينا .

كان الطارق هو السيد هولوى وقد انحنى فى أدب جم وبدت عليه الحيرة فسأله سبنسر :

ــ أحسبك قد جئت لمقابلة السيدة لورين شيرمان .. أليس كذلك ؟.

ولمح كأسى الشراب .. كما رأى صحيفة « دانبرى» فقال :

ــ ماقولك فى ذلك المقال ؟.

ــ لم أنته من قراءته بعد .

ــ تستطيع أن تستمتع بالقـــراءة .. فلم أحضر لازعاجك . ويكفينى أن تأذن لى بأن ألقى نظرة سريعة على غرفة الآنسة شيرمان وربما سمحت لنفسى بأن أطوف بالبيت .. ان لم يكن لديك مانع. ولكن ارجوك .. لاتهتم بى .

لابد أنه وزوجته .. يعيشان حياة هادئة . ولا شك فى أنهـا تغزل له قفازيه وجواربه .. وشملته أيضا . فهل ياترى .. تعقـد له رباط رقبته أيضا كل صباح ؟.

ــ هل لك فى كأس من الشراب ؟.

ــ ليس الآن ..

وكان يعرف طريقه . أما آشبى فقد ظل فى مقعده ذى المسندين ومضى يتابع قراءة الصحيفة دون أن يتذكر أين توقف ..

« وفى وقت ما ظن الشرطة انهم عثروا على خيط يدلهم على مرتكب الحادث . فقد تطوع ساقى « الكوخ الصغير » وهو ناد ليلى يقع على طريق هارتفورد بان يشهد بأنه رأى فتى وفتاة يتوقفان امام ناديه ليلة الحادث حوالى منتصف الليل .. وكان منظرهما جاذبا للأنظار .

ـ « وكانت الفتاة تقارب الأوصاف التى نشرت عن بيل .. عصبية المزاج قليلا ربما بسبب افراطها فى الشراب ، وكان رفيقها ـ وهو فى نحو الثلاثين ـ يحدثها بصوت منخفض انما فى حدة والحاف كأنما يحاول أن يدفعها لعمل ما .

« ولكنها ظلت تهز رأسها سلبا » تلك كانت أقوال الساقى حرفيا ، وكان يبدو عليها الخوف الشديد من شىء مجهول حتى لقد أوشكت أن أتدخل فى الأمر لأنى أكره رؤية الرجال وهم يتحدثون مع السيدات على هذا النحو ، حتى ولو كان ذلك فى منتصف الليل وفى ناد ليلى على الطريق . وحتى لو كانت قد احتست كثيرا من الشراب ..

س : أتعنى أنها كانت ثملة ؟.

ج : حسنا .. لم يكن فى وسعها أن تشرب أكثر .

س : وهل شربا شيئا أمامك ؟.

ج : لقد جلسا أمام البار .. وأتذكر أنه ـ كان يلف ذراعه حول خصرها وكأنه يساعدها على السير ، أو ربما ليمنعها من الانصراف . وكان يريد أن يطلب جعة .. فقالت له شيئا فى صوت لم أسمعه .. وتناقشا .. واذ كنت قد اعتدت ذلك ، ابتعدت عنهما قليلا حتى استدعيانى .. وطلبا كأسين من الكوكتيل ..

س : وهل شربت كأسها ؟.

ـ لقد انسكب كأسها قبل أن يصل الى فمها .. ولم تهتم بتنظيف ثوبها رغم أن الشاب قدم لها منديله .. فرفضته .. وبعد ذلك انتزعت كأسه من بين أصابعه ، ثم أفرغته فى جوفها . وكان يبدو عليه الانزعاج ، ولم يكف عن التطلع الى ساعة الحائط وهو

يميلّ عليها .. واعتقد انه كان يريد الانصراف »
ورفع آشبي راسه .. كان السيد هولوى القصير يقف في الردهة وينظر حواليه . بنفس الطريقـة التي تتفحص بها طابقـا قد استأجرته توا ، وأنت تفكر أين تضع الأثاث .. ولم يكن منتبها لسبنسر .. كان عقله في واد آخر . وانطلق الى باب العرين ،وقف هناك لحظة دون أن يهبط على الدرج ، ثم هز رأسه .. وذهب الى الباب الأمامى ..

لقد كان مستغرقا في أفكاره .. يمشي كالمسـحور .. مما حمل آشبي على أن يجمع ساقيه حتى لا يتعثر فيهما الشرطي الذي قال في شرود :
ــ شكرا ..
وبدأ آشبي يقرأ سطورا أخرى ..

« ولكن ماكاد الساقي يرى الثياب التي كانت ترتديها بيـل شيرمان في تلك الليلة حتى نفى بكل تأكيد أنها ثياب الفتاة التي رآها في ناديه .. والتي كانت ترتدى معطفا خفيفا من الصوف له بنيقة من الفراء ، فوق ثوب حريرى أسود أو أزرق داكن الزرقة .. »
« وقد دلت التحريات على أن القتيـلة لم تملك بتاتا معطفـا بنفس الأوصاف » .

ولا يدرى سبنسر لماذا أعاد قراءة ذلك المقال مرات ومرات عن نادى « الكوخ الصغير » بالرغم من أنه لم يلق ضوءا جديدا على ذلك الغموض الشديد يستفيد منه المحققون .. أما بالنسبة اليه ؟ هل اضافت شيئا جديدا الى الصورة التي كان يتخيلها في ذهنه عن «بيل» ؟ وسواء أكانت فتاة المشرب .. هي بيل .. أم فتاة أخـرى في مثل سنها .. فهما صنوان لهما نفس الظروف في دنيا لم يكن آشبي يعرف منها الا القليل النادر نظريا فقط ..
ولكنه شعر وهو يهضم تلك الصورة الطريفة الحية .. كأنه وسط ذلك المشرب الصاخب الضاحك .. قريب جدا من النسـاء اللواتي يفوح من أعطافهن العطر .. وهن يخرجن أصابع «الروج » من حقائب أيديهن ويتطلعن في مراياها الصغيرة .. ويمررن بها على شفاههن »

ولما أخذوه ليرى الجثة .. قال:
ـ هذه ليست فتاة الأمس ..
وربما كذب الساقى فى ذلك .. حتى لايتعرض لمسئولية تقديم خمور لفتاة قاصرة .. فيسحب ترخيصه .
فهناك .. عشرات من تلك المشارب متناثرة على طول الطريق وخاصة بجوار المدن الكبرى .. وهو ليذكر حين كان فى رحلة بالسيارة مع كريستين .. أن استرعت أنظارهما الأضواء الملونة والاعلانات المتحركة التى تدعو المارة وقائدى السيارات وتجذبهم بشتى وسائل الدعاية والاغراء للتوقف وقضاء بعض الوقت فى المشرب أو المرقص .
وفجأة سمع سبنسر صوت هولوى يقول:
ـ سوف أقبل بكل سرور .. تلك الكأس التى عرضتها على ياسيد آشبى . أتسمح لى بالجلوس ؟.
وكان قد جلس فعلا .. ودس عويناته فى جرابها .. ثم وضع الجراب فى جيبه .
ـ لاشك فى أنك أكثر الناس اهتماما بأن ننجح فى القبض على ذلك الجانى الأثيم . ولكنى أخشى أن يطول بك الوقت فى الانتظار !. ولا أخفى عنك أننا كلما تعمقنا فى البحث .. ازداد شرودنا وضعنا فى معالم التيه !.
أترغب فى أن تعلم .. ما أعتقده شخصيا ؟ سوف يحدث ما يحدث دائما فى مثل تلك القضايا .. فبعد خمس سنوات أوربما عشر .. سنجد فتاة قتيلة فى مثل هذه الظروف .. باختلاف أن القاتل لن يساعده الحظ فيخفى آثاره مثلما فعل الآن ... وعندئذ .. بشىء من المقارنة والاستنباط .. سنعرف أنه هو نفس القاتل الذى صرع « بيل شيرمان » .
ـ أتعتقد أنه سيكرر جريمته ؟.
ـ عاجلا أو آجلا .. حينما تواتيه الظروف مرة أخرى ..
ـ وبفرض أن شيئا من ذلك لم يحدث ؟.
ـ لابد أنه سيسعى لذلك حتما مادام قد أفلت مرة .. وذلك أمر يؤسف له حقا فالدنيا مليئة بفتيات كثيرات من أمثال بيل شيرمان .

وقال آشبى .. وهو يشـــعر بمزيد من عدم الارتياح :
ـ سوف تصل والدتها فى أية لحظة .
ـ أعرف هذا . ومع ذلك فانها لا تستطيع ان تعرف عشرات الناس من عشاق ابنتها ..
واحمر وجه آشبى فى هذه المرة ..
ـ أواثق أنت ؟.
ـ ماكاد رجال المباحث يصلون .. حتى بدأت الألسنة تفك من عقالهـا ..
ـ وهل كانت أمها تعلم ؟.
هل ياترى .. للسيد هولوى أولاد ؟ ابنة ؟ انه يتحدث بـلا اكتراث وهو يخوض فى سيرة بيل المسكينة كأنما يشق قالبا من الزبد الجميل بسكين حادة !.
انهم دائما يقولون نفس الشيء .. يتظاهرون بالدهشة العميقة والاستنكار الشديد .. لم نكن نعلم أو نتصور !.
ـ وهل تعتقد أنهم يكذبون ؟.
ولم تتح لآشبى فرصة الحصول على اجابة من رئيس الشرطة المحلية ، فقد فتح الباب الأمامى بعنف على مصراعيه واندفعت لورين شيرمان كالصاروخ حتى كادت أن تطأ السيد هولوى القصير تحت قدميها ، وكان قد استوى واقفا .. ثم تبعتها كريستين وكانت تحمل بين ذراعيها مجموعة من اللفافات .
وغمغم آشبى يقول :
ـ السيد هولوى .. رئيس الشرطة المحلية ..
ـ لقد حضرت لتوى من لدن قاضى تحقيقكم .. وأحسب فى ذلك الكفاية !.
كانت كالقاطرة البخارية .. تنفث نارا .. ولا تريد من احـد أن يقف فى طريقها .
وقال الشرطى :
ـ ليس فى نيتى أن اضايق السيدة شيرمان .. فى الحقيقة لقد كنت أهم بالانصراف .
وانحنى للسيدتين .. ومد يده الى آشبى وهو يقول :
ـ تذكر ما قلته لك !.

وتوقف في المشي .. لينظر الى الحدادين وهم يقومون بعملهم في استبدال الأقفال .. تحت أنوار الكهربا .. بباب آل نيشان .. وجعلته كل تلك الاحتياطات .. يبتسم .

ـ هل تعلم بأن لورين ستسافر هذا المساء ؟.

وهتف من باب الأدب .. يقول :

ـ أحقـا ؟.

ـ لقد أصرت على ذلك منذ اللحظة التي وصلت فيها ..

ووضعت كريستين أحمالها فوق منضـــدة المطبخ ثم فتحت الثلاجة الكهربية وأزاحت جانبا اللحم البارد والآيس كريم .

ـ لقد احتجزها ريان أكثر من ثلاثة ارباع الساعة .. ويبـدو انه لم يكن كريما وهو يتحدث عن بيل .

وانطلقت لورين تقول في ثورة :

ـ انه وغد . كلهم أوغاد . الآن فتاتي المسكينة قد قتلت ..

ووقعت عيناها على الزجاجة .. فهجمت عليها دون استئذان وملأت لنفسها كأسا .. دون أن تدري بأنها تستعمل كأس ضابط الشرطة .

ـ كل الرجال خنازير .. تذكري .. طالما قلت لك ذلك في الجامعة .

ورمقت آشبي في استنكار . وكأنه هو الذي تعنيه بحـديثها هو المسئول وحده .. لا أحد سواه !.

ـ وما يسمونه غراما .. ليس الا خدعة وشركا . صدقيني .. فأنا أعرف فيما أتحدث .

وأفرغت الكأس في جوفها . ثم حدجت آشبي متفرسة تتحداه في أن يذكر حرفا في مواجهتها .

وكانت تتحدث في غضب وهي تقف كالتمثال الضخم الطـويل في منتصف الغرفة .. مما جعل كريستين نفسها تحملق في وجهها

ـ لعلك تعتقدين انني ثملة ؟.

ـ لا يا لورين .

ـ لك أن تعتقدي ماشئت بالطبع . فبعد دقائق .. ســـأكون مع ابنتي في قطار نيويورك .. لن ترافقني هـــذه المرة في نفس

السيارة .. لانها ماتت .. وسنضطر لقضاء الليل فى نيويورك ..
وحينما نصل الى مدينتنا.. سوف نجدالناس جميعا وقداحتشدوا
على رصيف المحطة .. يحملقون فينا بوجوههم المقيتة .
وصمتت لحظة .. كأنها تفكر .
ـ وانى لأعجب .. هل سيكون ابوها فى انتظارنا ايضا ؟.
وكانت الكراهية تقطر من عينيها وهى تقول ذلك .
ـ متى سيتحرك القطار ؟.
ـ فى التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين .. امامك فرصة
طيبة لتناول العشاء معنا .. ولتستريحى قليلا .
ـ لست فى حاجة للراحة ..

وكشرت عن أنيابها وهى تعيد التحديق فى آشبى .. وتقول:
ـ وماذا اصنع فى هذا البيت .. ولماذا أنا هنـــا على أية
حال ؟.

ـ لماذا تقولين ذلك يالورين ؟.
ـ لأنى أدرك ماأقول .. لست أحب زوجك .
وحاول أن يبتسم متأدبا .. وبدأ يتحرك نحو باب غرفته .
ـ أنا اعرف أنه غشاش لئيم .. لا أكاد أتحـدث عنه حتى يولى
هاربا .

ولابد ان كريستين كانت تعيش على أعصابها فى تلك اللحظة ،
ولم تكن الفرصة مواتية لأى مشادة كلامية . وقـــد تكون لورين
معذورة . لقد فقدت ابنتها منذ قليل ، وذلك أمر لايمكن أن ينساه
الانسان سريعا ، وقد أثرت فى أعصابها رحلتها الطويلة من أوربا..
وزاد الطين بلة ماقاسته على يدى ريان ..

ثم .. لقد وقـــع حادث مصرع ابنتها بين جدران بيتهما ..
ولعلهما مسئولان عن وفاتها .. فقد كانت فى رعايتهما .

ولكن .. لماذا أردفت .. وكأنها تقذفه بحجر فى ظهره ، حينما
أغلق باب غرفته عليه :

ـ هذا النوع من الرجال هو أخسهم جميعا !.

القسم الثـانى

الفصـــل الأول

وبدأ يضيق بالحياة .. فقد كان الموقف يزداد بمضى الـوقت سوءا .. وخاصة بينه وبين زوجته ، وذلك القنـاع الذى يرتديه كلاهما بدأ يشف حتى أوشك أن يذوب ويفصح عن الحقيقة المرة ، المؤلمة للزوجين معا .. وفى الوقت نفسه بدأ حاجز سـميك ينمو رويدا رويدا بينهما !.

فهو يحبس نفسه أكثر اليوم فى غرفته أو عرينه .. حتى اذا احس بأنها خرجت للسوق .. تسلل من مخبئه وكأنه حيـوان يخشى الناس ويترقب خلو المكان حتى لايقتلوه !.

لم يكن يدرى على وجه التحديد .. من أين ستوجه اليه الضربة القادمة .

ولذلك كان يفضل أن يمكث فى غرفة الاسـتقبال كلما انفـرد بنفسه .. حتى تظل عيناه مثبتتين على الباب حينا .. وعلى الممشى الموصل للبيت .. حينا آخر .

وقد أعد مقعده بحيث يجاور المدفأة .. ووضع اكواما من الوقود والأخشاب بجانبها .. وكأنما قد أصيب بحساسية مفاجئة للبرد .. فاذا ما سمع صوت سيارتها تقترب ، انطلق الى النافذة واختفى خلفها بحيث يرى ولا يرى ، حتى يقرأ تعبيرات وجهها .. قبل ان يتاح لها أن تتكلف البشاشة والبشر أمامه ..

ولم تكن هى نفسها تجهل انه يراقبها .. فكانت تتظـاهر بأن الأمور تسير بطبيعتها ، فتغادر سيارتها .. وتصعد فى الدرج بخطوات خفيفة مرحة .. وما تكاد تفتح الباب حتى تتظاهر بالدهشة لمرآه فى ذلك المكان .. ثم تقول ضاحكة :

ـ هل حضر أحد لزيارتنا ؟.

واللعبة لها قواعدها .. قد درسها كل منهما بحيث حفظـا خطواتها ، وراح كل منهما يجتهد فى اضافة بعض التحسـينات اليهـا .

ـ لا أحد .

ـ ولا اى مكالمات تليفونية ؟.

ـ ولا مكالمة واحدة !.

وكان يثق فى أعماقه بأنها انما تحاول بتلك المقدمات أن تخفى ارتباكها .. وأن تملأ الصمت والفراغ المقيت الى نفسها ، فلم تكن بطبيعتها تميل الى القاء مثل هذه الأسئلة السخيفة .

واذا لم يكن لديه ما يعمله .. فانه يتبعها الى المطبخ وينظر اليها وهى تضع المؤن فى الثلاجة . ويتفرس فى وجهها لعله يكتشف شيئا جديدا ، وفى النهاية يسألها وهو يتطلع بعيدا عنها :

ـ ومن قابلت ؟.

ـ فى الحقيقة .. لا أحد .

ـ كيف ذلك ؟ هل يخلو متجر الخضر من الناس فى العاشرة صباحا ؟.

ـ أعنى لا احد على وجه الخصوص . اما الباقون فلم اهتم بملاحظاتهم .

ـ اذن فلم تتحدثى الى أحد ؟.

كان سؤالا ذا حدين .. وهى تعرف ذلك ، وهو أيضا يعرف ذلك ، فلو اعترفت بأنها لم تتحدث مع اى مخلوق .. كان معنى ذلك أنها تشعر بالعار والخجل من الناس . أو أنهم كانوا يتحاشون مخاطبتها . ولو قالت أنها خاطبت انسانا .. سألها لماذا لم تصارحه بذلك على الفور ..

ـ أوه .. أجل .. لقد قابلت لوسيل رونى .. أخبرتنى بأن زوجها سيعود فى الأسبوع القادم ..

ـ وأين هو ؟.

ـ ولكنك تعلم هذا تماما . انه فى شيكاغو .. هل نسيت ؟.

ـ ألم تذكر لك شيئا آخر ؟.

ـ لم تقل سوى أنها سعيدة لعودته .. وانها لن تتركه يسافر وحده بعد ذلك .

ـ ألم تذكر شيئا عنى ؟.

ـ نعم . لم تذكر .

ـ أهذا كل شيء ؟.

ـ وقابلت السيدة سكاربورو .. ولكني اكتفيت بأن الوح لها بيدي من بعيد .

ـ لماذا ؟ أكانت مشغولة ؟.

ـ لا .. كانت تقف في الجانب البعيد من المتجر ، ولم أشأ أن أفقد دوري في الصف أمام الخزانة .

ولم تفقد هدوءها قط ، أو تبدي امتعاضا أو نفاد صبر .. وبلغ به الأمر ذات مرة أنه كان يستاء من برودها وقوة أعصابها . ترى هل كانت تعامله كأنه مريض ؟ أم تراها على علم بما يدبرونه له في الخفـــاء ؟.

ولم يبدأ في الارتياب الجدي الا صباح السبت ..

كانت قد عادت لتوها من السوق .. وكان الطريق زلقا ... ولذلك وقف أمام النافذة .. وفي نيته أن يهرع لمساعدتها في حمل المؤن .. وحينمـــا أغلقت باب سيارتها .. دون أن تراه .. وقعت عيناها على نقطة معينة بجوار الباب الأمامي .. وساوره شعور بأنها رأت شيئا صدمها بقوة .. فقد بهتت وامتقع لونها ولبثت لحظة قبل أن تستعيد هدوءها .

واذ رفعت عينيها .. لمحته ، وفي لمح البصر .. ارتسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة .

سألها :

ـ ماهذا الذي رأيته ؟.

ـ أنا ؟.

ـ اجل .. أنت .

ـ متى ؟.

ـ من لحظة مضت .. حين كنت تتجهين الى الباب .

ـ وماذا تحسبني رأيته ؟.

ـ هل قال لك انسان شيئا ؟.

ـ بالطبع لا .. ولكن لماذا ؟. وماذا سيقول لي ؟.

ـ لقد بدت عليك الدهشة وكأنك صعقت !.

ـ ربما كان ذلك لأنى شعرت بالبرد .. وكان داخل السيارة دافئا ..

ولا شك فى أنها لم تقل الصدق . فقد لاحظ أن احدى خادمات آل نيشان كانت تمر منذ لحظات فى المشى .. وحملقت فى نفس المكان من الحائط ولم يهتم عندئذ ، ظنا منه أنها تنظر الى قطة ضالة .. ولكنه بدأ يفكر جديا .

وحاولت كريستين أن تمسك به .. حينما اندفع خارجا دون معطف أو قبعة .. أو حتى حذائه المطاطى .. وكاد يسقط فوق الأرض الملساء المبتلة ..

وهناك على القمة الى اليمين من الباب .. فى مكان واضح تماما رأى كلمة بالخط العريض « السفاح » مكتوبة بالقار .. كريهة مقيتة .. وكأنها اعلان عن تمثيلية فى المسرح أو السينما !.

وأكبر الظن .. ان الكلمة قد استرعت أنظار الخادمات . ولا بد أن شيلا قد رأتها أيضا .. وكان زوجها قد تركها وعاد الى نيويورك بعد أن اطمأن الى متانة الأقفال والمتاريس الجديدة ، ومن العجيب حقا انه لم ير وجهها منذ ذلك الحين .. لا بجوار النافذة ولا من الباب .. وان كان قد لمح شبحها ذات مرة يختفى فى نهاية الغرفة كالطيف .

فهل حرم عليها نيشان النظر من النافذة أو حتى الوقوف بجوارها ؟ وهل كان هو المقصود بالذات ؟ وهل تراه قد حدث زوجته عنه ؟ .

وكان السيد هولوى قد جاء فى المساء السابق وكأنه ينتهز فرصة مروره فى تلك الناحية ليزورهما . وجلس فى غرفة الاستقبال بعض الوقت يتحدث عن الطقس وتطوراته .. وعن حادث تصادم قطارين فى ميتشجان .. دون أن يتناول الحادث الذى جاء فى الواقع من أجله ، وأخيرا نهض وهو يقول :

ـ اظن أنى سأقضى بعض دقائق أخرى فى غرفة الآنسة شيرمان اذا لم يكن لديكما مانع .. أخشى أن تتضايقا منى .. ايه ؟ فما زلت أفكر فى احتمال اكتشاف جديد ..

ولكنه غاب طويلا .. دون أن يأتى بأية حركة . وربما ظل واقفا فى مكان واحد طول الوقت .. وانطلق آشبى الى عرينه ،على حين كانت كريستين فى المطبخ تكوى الثياب ..

ولم يكن قد لمس منشاره الكهربى .. منذ أن « طردته » المدرسة مع أنه كان يحلم بأجازة يستطيع فيها أن يأتى بالمعجزات فى فن النجارة .. والآن .. وقد أتيح له الفراغ .. لم تخطر تلك الفكرة بباله .. وكل مافعله أنه نظم كتبه فوق الرف وأعاد ترتيب أدراج قمطره . كذلك شرع يكتب على ورقة طويلة بيضاء .. مذكرات وأسماء .. وبعض العبارات المختلفة غير المفهومة .. رموزا لايفهمها غيره .

وكان قد ملأ عدة وريقات فعلا .. مزق بعضها .. واحتفظ بالباقى ، عندما سمع طرقا على الباب .. فهتف بالطارق : ادخل .

كان يعلم أنه السيد هولوى .. وانه لابد سيلقاه مرة أخرى .. فأعد له شرابا .

قال له :

ـ اجلس .. ظننتك قد انصرفت قبل أن تودعنى .

وصب الشراب .. ووضع الثلج .. ونظر الى العجوز القصير لأنه لايدرى مقدار الصودا التي يحب اضافتها الى كأسه ..

ـ شكرا .. هذا يكفى .. في الواقع أن جلستك ممتعة .

واضطجع السيد هولوى فى المقعد الجلدى الوثير .. وكأسه فى يده .. ومد ساقيه أمامه .. وكأنه فى فراشه . وقال :

ـ ثمة شىء كان يحيرنى منذ البداية . وأحسبنى قلت لك من قبل اننا قد لا نصل أبدا الى ما يكشف لنا غموض القضية .. ولكنى اليوم أقل تشاؤما من أمس . فقد استطعت أن أرى قبسا . وما زالت تلك الغرفة توحى لنا بأفكار جديدة ..

وأخرج شيئا صغيرا من جيبه .. ووضعه على المنضدة امام آشبى .. دون أن ينظر اليه أو الى أشبى . بل مضى يتأمل السائل الثلجى فى كأسه ..

وكان ذلك الشيء .. أحد المفاتيح الثلاثة للباب الأمامي ..
وغمغم الشرطي يقول :
ـ مفتاحك معك أليس كذلك ؟ .. وزوجتك تحتفظ بمفتاحها ..
وكان مع بيل شيرمان مفتاح .. اذن فهو مفتاحها الذي عثرت عليه توا ..
ولم يهتز لآشبي هدب . ولماذا يفعل ؟ ليس ثمة مايخفيه .. أو يخشاه . وكل ما أزعجه في الواقع هو اصرار هولوي على تجنب النظر اليه .
فهل قد أضاف العثور على المفتاح مزيدا من الشك في أمره ؟.
ـ أتعرف أين عثرت عليه ؟.
ـ لم تقل سوى أنك وجدته في غرفتها ..
ـ ظننت أني بحثت في كل مكان .. خلال المرات التي حضرت فيها اليكم ، والمفروض أن الاخصائيين وكذا الضابط آفريل ورجاله قد فحصوا المكان ونبشوه بدقة .. ولم يتركوا حجرا الا قلبوه ! ومع ذلك . فقد وجدت نفسي وانا أجلس وسط الغرفة .. أحملق فجأة في حقيبة يد سوداء كانت محشورة وسط بعض الكتب فوق الرف فهل تعرفها ؟.
ـ أجل . اعرفها . كان لبيل حقيبتان .. تلك التي على شكل صندوق .. والتي كانت تحملها في المناسبات .. وحقيبة جلدية عادية للاستعمال اليومي .
ـ حسنا .. كان المفتاح في الحقيبة السوداء ..
وفكر آشبي .. فيما قررته السيدة نيشان .. وحدس هولوي فيما يفكر صاحبنا ... ولعله كل يقصدها حينما قال :
ـ غريب .. أليس كذلك ؟.
فقال آشبي :
ـ لاتنس انها لم تزعم أبدا انها رأت الشيء الذي ناولته بيل للرجل المجهول ، واذا كانت ذاكرتي قوية .. فقد قالت أنها تظن ذلك الشيء مفتاحا .. بل انها لم تقل أنها بيل بالذات .. مجرد يد امتدت من فتحة الباب .

ـ أعرف ذلك .. ولكن الثابت انه لم يكن فى الدار فتيات سوى بيل . واذن من المؤكد أن ما أعطته بيل ذلك الرجل لم يكن المفتاح .. وبهذه المناسبة .. هل تذكر نوع الحقيبة التى كانت تحملها وقت أن عادت ذلك المساء ؟.

وأجاب صادقا بالنفى . لم يكن يعرف . رغم ادراكه أن الأمر بالغ الأهمية .. وكان فى وسعه أن يكذب . وكان يشـعر تماما أن لهجة السيد هولوى .. قد شابها بعض الغموض أخيرا .

ـ أواثق أنت من انك لم تفتح لها الباب حوالى منتصف العاشرة حين عادت فرضا من السينما ؟.

ـ أنا لم أبرح هـذه الغرفة أبدا . ولم أرها الا واقفـة على الدرج ..

ـ أما كانت ترتدى معطفها وقبعتها الرخوة « البيريه » ؟.. اذن فلا بد أنها كانت تحمل حقيبة .

ـ هذا محتمل .

ـ ولما كنت قد عثرت على حقيبة أخرى فى مكان ظـاهر على المنضـدة فى غرفتها .. اعتقدنا جميعا أنها الحقيبـة التى كانت تحملها . ولما لم نجد بها المفتاح الثالث .. آمنا بقصة السيد نيشان وصدقناها . وكان بحثنا منذ تلك اللحظة قائما على نظرية خاطئة .

ـ أما الآن ..؟

هناك ثغرة فى مكان ما .. صدقنى يامسـتر آشبى .. انه موضوع مقيت الى نفسى .. وطالما تمنيت من أعماقى عدم حدوثه . وودت لو لم أعثر على هذا المفتاح . ولست أدرى الى أين يقودنا ولكنى اتوقع أنه سيثير لغطا كبيرا ويرتب الناس عليه نتائج كثيرة . فما دمنا قد عثرنا على المفتاح فى البيت .. فلا أحد اذن غير بيـل قد أدخل القاتل .

وهل يختلف هذا .. عن النظرية الأولى التى تقول انها أعطتـه المفتاح من فرجة الباب ؟.

ـ اننى أفهم وجهة نظـرك ... ولكن النـاس سيفهمون ذلك بطريقة أخرى .

وأخيرا .. انصرف هولوى وهو يبدى مزيدا من انزعاجه وعدم ارتياحه .

حدث كل ذلك مساء الجمعة .. ولابد ان كلمة « السفاح » قد كتبت فى نفس تلك الليلة .. وبعبارة أخرى .. قبل أن تنشر الصحف شيئا عن المفتاح . ولم يكن ذلك عبث أطفال . فان الذى يحمل صفيحة من القار وفرشاة ويخرج فى الزمهرير القارس .. ويسير على قدميه تلك المسافة لا بد أن يكون رجلا قويا .

وليت الأمر انتهى الى ذلك الحد ، فقد اقبلت مجموعة من الأطفال اعتادت أن تلعب هناك كل سبت يتزحلقون على الجليد فوق سفح المشى لأنه أكثر انحدارا من الطريق الآخر وأشد أمانا لبعده عن حركة المرور . ولا بد أنهم قرءوا الكلمة . فقد ظلوا يحملقون فى الجدار فاغرى الأفواه .. وهم يتهامسون كأنهم يتبادلون سرا خطيرا .

ولم يشأ آشبى أن يغير من عادته بأى حال .. فحين كان يضطر فى الأيام العادية الى المكث فى البيت بسبب برد طارىء كان يجر قدميه من مكانه بجوار المدفأة .. ويذهب الى غرفته .. وهو الآن .. يفعل نفس الشىء . غليونه فى فمه .. وقدماه فى الخف .

وحانت منه نظرة .. ثلاث أو أربع مرات .. الى النافذة .. فاذا به يرى فى كل مرة وجه طفل ملتصقا بزجاج النافذة الذى يعلوه الضباب .. ربما بدافع الفضول والرغبة فى رؤية وجه « السفاح » .

ولم يحاول مطاردتهم .. لاهو ولا كريستين التى كانت قد لاحظت مناوراتهم .. كانت تعلم مثله أن من الخير أن يتركا الأمور تسير بطبيعتها وكأن شيئا لم يحدث . ليس مع الآخرين .. بل مع نفسها ومعه أيضا . فقد كانت تخرج كل يوم تقريبا لحضور اجتماعات مجلس القرية .. أو حفلات الشاى كعادتها ..

بيد أنه لاحظ أخيرا .. أنها قللت كثيرا من نشاطها وبدأت تلزم البيت فى أغلب الأحايين .

ـ هل قال لك أحد شيئا .

ـ اننا لم نتحدث الا فى أعمال الجمعية .

ولكنه لم يصـــدقها .. لم يعد يصدقها .. ومن بين ماكتبه فى احدى الوريقات :

« ياالهى .. كريستين ايضا ؟.» .

« هل تشك .. مثل الآخرين .. فى براءتى ؟ ».

وقد أنكر جميع الشبان الذين استجوبتهم الشرطة رؤيتهم بيل مساء أو ليلة مصرعها .. وحسبما جاء بتقرير الصفة التشريحية فان الوفاة حدثت قبل الواحدة صباحا .. ولما كانت كريستين لم تعد الا بعد ذلك الموعد بفترة طويلة .. وآشبى لايستطيع اثبـــات مكان وجوده بالبرهان المقنع ابان تلك الفترة .. فهنا لغز الألغاز .

ومن جهة أخرى .. لم يسفر التحقيق مع جميع روادالسينما فى الحفلة المسائية عن شىء جديد ..

« وقد اعترف شابان ممن سئلوا بأنهما كانا قريبين نوعا ما الى قلب بيل شيرمان ، بيد أنهما أكدا بأن علاقتهما كانت عادية » .

وكتب آشبى فى الورقة عددا من الأسماء ــ وفى ظنه أنه يعرف كل الفتيان الذين اعتادوا مرافقة بيل فى الخارج ، وبعضهم كانوا من تلاميذه السابقين .. وجميعهم من أبناء أصدقائه ومعارفه ..

ومن ذا الذى قام باستجوابهم ؟ ريان بلا ريب .. وشـــاهدت كريستين مجموعة منهم ينتظرون فى القاعة الخارجية لمكتب قاضى التحقيق .. عندما انطلقت فى رفقة لورين الى لتشفيلد .

وما الذى كانت تعنيـــه تلك الصحيفة بعبارة « قـــريبين نوعا ما .. » ؟.

ومضى يفكر فى خلوته وبين جدران عرينه .. فى كل تلك الأسئلة وهو جالس الى قمطره وقلمه فى يده .. يعبث بأصابعه فى شـــعر راسه .. كما كان يفعل وهو يعد امتحانات الأولاد .. والأجوبة .. وبين حين وآخر يضع علامة « x » أمام أحد الأسماء .

كان لاغلبهم سيارات مملوكة لآبائهم ..

واذ كان من المستحيل أن يذهب أحدهم مع بيل الى ناد ليـــلى من نوع «الكوخ الصغير» حيث لاتقدم الخمر للاحداث ، فالذى يحدث غالبا .. هو أن يحصل الفتى على زجاجة من الشراب بطريقة ما ، ويوقفا السيارة فى اى جانب هادىء مظلم من الطريق .

وهذا مايحدث كل ليلة .. وكلهم يعلمون به .. والآباء أيضا ..
ولكنهم يتظاهرون بالصمم والعمى ..

فهل ستفلح قضية بيل فى اثارة الآباء والأمهات ـ ممن لازالوا يثقون بمتانة أخلاق بناتهم ؟.

وكان هولوى محقا حينما قال ان القضية تزداد تعقيدا .. وتبدو أكثر سخافة وكراهة للنفس .. وكلما تقدم الزمن .. وضح بشكل أكثر ان الذى خنق بيل .. ليس غريبا عن المنطقة أو من المتشردين الذين يطوفون فى الطرق العامة .. فمثل هؤلاء الناس لايرتدون طاقية الاخفاء .. أو يتبخرون فى الهواء ! وانما هو أحد معارف بيل ـ ادخلته غرفتها برغبتها وبالتالى لا بد أنه واحد من المحيط الذى تعيش فيه ..

ولذلك .. اهتم آشبى بكتابة تلك المذكرات . فحتى الآن .. لم تهتم الشرطة الا بالفتيان وصغار السن من الشباب ، بيد أن سبنسر كان يفكر فى الرجال المتزوجين . فمن المؤكد أنه ليس المخلوق الوحيد الذى تصادف غياب زوجته عن الدار تلك الليلة ؟ فكثير من الأزواج يعودون فى أوقات متأخرة دون أن يلحظهم أحد .. طالما أنهم لا يشاركون زوجاتهم فى غرف النوم .

ولقد قال أحد الفتيان ممن اعترفوا بقضاء أوقات صبيه مع بيل قبل مصرعها بأسبوع :

ـ أنها لم تستمتع بصحبتنا كثيرا ..

ـ لماذا ؟.

ـ كانت تعتقد أننا ما زلنا صغارا غير محنكين .

ومضى يوم السبت .. واقبل الأحد وهو يوم له طابع خاص يميزه عن بقية الأيام .

فقد كان من عادتهما ان يذهبا للكنيسة صباح كل احد . وهى متدينة جدا ولها نشاط ملحوظ فى « صندوق معونة الأرامل والعجائز » .

وحين كانا يرتديان ثياب الخروج .. أحس بالحيرة والقلق ..

ولم يعرف كيف يعبر عما يجيش بخاطره .. وكان يرمقها بتلك النظرات الغريبة التي أصبحت احدى لوازمه .. وغمغم يقول :
ــ ألا توافقينني على أنه من الأفضل لو مكثت فى الدار ؟.
ولم تفهم غرضه فى البداية وهتفت :
ــ لماذا ؟أمريض أنت ؟.

ــ لا أقصد نفسى .. بل الآخرين .. ربما فضلوا الا يرونى بينهم وانت تعلمين بما حدث فى كرستفيو .
واذ كانت لا تملك المشورة فى مسألة تتصل بالدين ، فقد اتصلت بالقس تليفونيا .. ويبدو أن القس نفسه كان مترددا .
ــ ماذا قال ؟.

ــ انه لايرى سببا يمنعك من حضور الصلاة .. الا اذا ..
وعضت على شفتها وتورد وجهها ..
ــ الا اذا كنت مذنبا .. أليس كذلك !.
وهكذا اضطر للذهاب .. رغم احساسه بأن لامكان له فى الصورة .. فى هذا الأحد بالذات ..
وكان الطقس رديئا .. والثلوج تنهمر .. وقطرات الماءتتساقط من أسقف المنازل .. ورشاش الماء البارد يتناثر حول اطارات السيارات التى تمرق فى الطريق .

ووصل هو وكريستين الى مكانهما الذى اعتادا الجلوس فيه.. فى الصف الرابع الى اليسار . وكانت الصفوف الأخرى قدامتلأت بالجمهور .. ومع ذلك فقد أحس كانه يجلس فى فراغ .. الناس يبتعدون عنه خوفا من أن يلوثهم .. وشعرت كريستين بنفس الشعور ولكنها لم تقل شيئا عن ذلك .. أو عن الموعظة .

وطالما تساءل ماذا كان يهدف اليه القس من الالحاف عليه فى الحضور .
ولكنه ــ وقبل أن يحضر الصلاة بفترة طويلة ــ كان يشعر بانه منبوذ .. على الأقل بصفة مؤقتة ..
وطالما اشترك فى مئات الصلوات أيام الآحاد . ليس بين جدران هذه الكنيسة فحسب .. بل فى معبد المدرسة ، وجميع المدارس

التى عمل فيها طالبا أو أستاذا .. وطالما رفع عقيرته بالأناشيد ..
ولكنه فى هذه المرة .. أحس بالصوت يحتبس فى حلقه .. لم يكن يؤمن بما كانوا ينشدونه .

وجوههم جميعا كانت متجهة حقا الى الأمام ..ولكنه كان واثقا من أن عيونهم قد تركزت عليه .. حتى أبصار أولئك الذين وقفوا خلفه صفوفا متراصة ، كانت نظراتهم كأنها جدار من السهام النارية تنفذ فى عنقه وتحرق ظهره ..

لماذا لايصرخون فى وجهه بالاتهام .. لماذا لايرجمونه بالحجارة؟..

وكان القس بروك يلقى موعظته :

« الشر يميت الشرير .. ومبغضو الصديق يعاقبون » ...
الخطيئة تأكل قلب فاعلها وتسحقه .. حتى ولو لم يعرفه الناس، والقاتل سوف يقتل ولو بعد حين .. فالرب يمهل ولا يهمل .. أما الصديقون فليس من حق أحد أن يكرههم أو يكيل لهم الشتائم والاهانات والا كان جزاؤهم الجحيم .. هؤلاء الصديقون هم الأبرار الذى يسعون لبيت الله لسماع كلمة الحق ».

كلهم أبرار مؤمنون .. من وقف أمامه ومن وقف على يمينه ويساره .. ومن وقف خلفه ، حتى كريستين التى جلست تنصت فى خشوع .. عيناها تلمعان ووجهها مشرق بالنور ..

هل تشرق وجوههم جميعا بالنور .. لأنهم صديقون بلاخطيئة يحملون نفوسا طاهرة وضمائر نقية ؟.

هذا هو النفاق بعينه .. وانه ليعلم ذلك عن يقين ..

وما خطر ذلك بباله من قبل .. بل لم يدر بخلده أبدا أن يفكر فى مثل هذه الأمور ..

كان يحضر فى أيام الآحاد .. ويقف مثل المصلين .. يردد كالببغاء ما يقولون .. كان واحدا منهم يملأ ثغرة فى الصفوف !.

أما الآن .. فقد انتهى كل شىء .. انه الشرير الوحيد فى القرية وحوله فراغ من كل جانب !.

وكان آشبى يشعر بأن القس يقصده بكل حرف من موعظته ، وان كان قد لمس حادث الأسبوع لمسا خفيفا .. فازداد انكماشه وشعوره بالفراغ الذى يحيط به .

ولقد رأى كل ذلك فى أحلامه الليلة السـابقة .. وأى حلم رهيب ! فى نفس هذه الكنيسة مع اختلاف فى بعض معالمها . وكان القس يلقى موعظته فى شكل نشيد جماعى يشترك فيه المصلون جميعا .. وعيناه مسلطتان على عينى أشبى .. وأشبى يفهم معنى نظراته .. ويبادله أقسى منها وأشد صلابة .. كأنها مبارزة صامتة والقس يريد أن يقتل غريمه .. بالشرر الذى ينطلق من عينيه . على حين كان أشبى يحاول المقاومة قدر جهده حتى لا يضطر للاعتراف بأنه « الشرير » .

كانت عيناه تتكلمان وتقولان :

ـ أقسم لك غير حانث .. بأنى لم أقتلها .. ولو فعلت لاعترفت لك باخلاص !.

لماذا يصرون على تكذيبه ؟ لماذا يكشرون عن أنيابهم كأنهم يهمون بالانقضاض عليه وافتراسه ؟.

ـ أنا لم ألق اليها انتباها .. البتة ! سـل زوجتى .. انك تصدقها على أى حـال .. انها قديسة لاتعرف الرياء أو الكذب ..

ولا يدرى كيف تلاشى ذلك الحلم الغريب . أكبر الظن انه تقلب فى فراشه . فاختلطت الصور أمامه .. وعندئذ تنفس فى هدوء وبدأ يحلم بجارته شيلا .. ذات العنق الطويل الرفيع الناعم الأملس .. وحوله عقد ثمين من اللؤلؤ يتألف من أدوار عديدة ربما بلغت عشرة .. به شبه كبير لذلك الذى كانت ترتديه كليوباترا وقرأ عنه فى كتب التاريخ .. الذى يدرسه للتلاميذ .

ولم يكن فى ذلك اى ظل من الحقيقة بطبيعة الحال .. فهو لم ير السيدة نيشان أبدا تطوق عنقها بعقد .

كذلك .. كانت نهاية مشهد الكنيسة فى دنيا الحقيقة والواقع تختلف عن ذلك الذى رآه فى حلمه .

فقد غادر الكنيسة ومعـه كريستين حينما جاء دورهمـا فى الخروج . وصافحهما القس الذى كان يقف بالباب لتوديع المصلين كما يفعل فى كل أحد . وخيـل اليه أن القس قد احتفظ بيـد

كريستين مدة أطول مما يجب .. وكانت ابتسامته لاشبى باهتة قليلا ونظراته تحمل معنى خفيا .

وكانت الريح تعصف فى الخارج ، وانطلق كل الى سيارته وهم يرفعون ايديهم بالتحية لاصدقائهم . ولكن احدا لم يهتم بتحيته .

هل يذكر ذلك لكريستين ؟ انها لن تفهم أحاسيسه .. فهى اقرب الى هؤلاء الناس منه .. وكانت كذلك دائما .. وانه ليحسدها على ذلك ويتمنى لو كان مثلها .

ـ هل نذهب مباشرة للدار ؟

ـ كما تشائين ..

وكان من عادتهما .. أن يطوفا حول القرية نحو ساعة .. قبل ان يعودا للغداء ، أو ينطلقا لزيارة أحد الاصدقاء وتناول كأس من الكوكتيل . وكانا يتلقيان تلك الدعوات بعد خروجهما من الكنيسة .. ولكن لم يعرض عليهما أحد فى ذلك اليوم مثل ذلك .

ولابد أن كريستين كانت تدرك أن الدار ستكون موحشة فى تلك الساعة من النهار .. بل القرية كلها تبدو موحشة أيضا وقد انصرف الناس جميعا عنهما .. أما فى نظره هو شخصيا .. فقد كان يخامره شعور .. بأنهم قد دفنوه فى قبر بعيد جدا عن القرية .. حتى لاتزكم رائحته انوفهم .

وقال لها وهو يدير محرك سيارته .

ـ هل رايت ؟ لقد كان فى الكنيسة اكثر من عشرين فتاة من امثال « بيل » .

ولم تجبه كريستين .. وتظاهرت بأنها لم تسمع .

ـ انه ليس أمرا مرجحا قابلا للشك .. بل مؤكدا .

ورغم ذلك .. ظلت كريستين صامتة ..

ـ كذلك .. كان من بينهم من استمتع بالنوم فى فراشها !.

ولم يكن فى نيته أن يخيفها أو يغضبها بقدر ما شعر برغبة خبيثة فى تحطيم عنادها واخراجها من صمتها .

ـ واكاد اقسم ايضا بأن قاتلها كان معنا .. يرفع عقيرته كأنه قديس !.

ولم تنظر اليــه .. واكتفت بأن قالت له فى لهجة باردة قلمـا استعملتها معه :

ـ أرجو أن تكف عن هذا ..

ـ لماذا ؟ لم أقل غير الحقيقة .. من يدريك أن القس نفســه لم ..

ـ وأنا قلت لك أن تصمت .

وظل طول اليوم غاضبا من نفسه .. لأنه سمح لهـا أن تأمره فيطيع . ألم يقل القس أن الخير ينتصر دائما على الشر ؟.

انه لم يؤذ مخلوقا طول حياته .. وحتى اذا كان قد حـــدث ذلك .. فبنسبة تقل كثيرا عما يفعله اولئك الفتيان الذين استجوبهم ريان وأطلق سراحهم .. فتيان فى الرابعة عشرة حقا .. ولكن لهم من التجارب مالم تتأت له هو شخصيا حين كان فى العشرين .

ولعله من أجل ذلك .. شعر نحوهم بالمقت وهو يسمعهم يرتلون الصلاة فى حماسة شديدة وكأنهم ملائكة .. فلماذا اذن يتظـاهرون بالنقاء والطهارة ؟.

وكان اسوأ أيام الآحاد التى مرت بهما .. لم يدعوا أحدا من الأصدقاء .. ولم يدعهما أحد الى بيته بخلاف ما كان يحـــدث دواما .

ورغم أن دارهما كانت فى نهاية طريق مسدود ، فقد استمرت السيارات تترى حتى بابهما وكأن أصحابها قد ضلوا الطريق .. وما جاءوا الا ليلقوا نظرة استطلاع نحو البيت الذى قتلت فيه بيل شيرمان ... وليشــاهدوا ماذا يفعــلان ... وليحملقوا فى وجه آشبى ..

وحدث شيء مضحك .. لم يكن ذا أهميــة .. ومع ذلك فالله وحده يعلم كيف كان تأثيره على أعصاب آشبى .

كان ذلك حوالى الثالثة أو منتصف الرابعة . وكان قد نهض ليأتى بوعاء الطباق من فوق رف المدفأة . حين دق جرس التليفون. وأسرع الاثنان اليه معا .. وفى وقت واحد . ولكنه سبقها بثانية واحدة ورفع المسماع وقال :

ـ هالو .. !

وكان لديه احساس أكيد بأن شخصا فى الطرف الآخر .. بل لقد سمع انفاسه تتردد خلال مكبر المسماع ..

ـ هالو .. أنا سبنسر اشبى .

وكانت كريستين قد عـادت لمقعدها لتسـتأنف حياكتها وقال مرة أخرى :

ـ هالو ..

ولم ينبس الرجل الآخر ببنت شفة . فأعاد المسماع مكانه وقد أربد وجهه ..

وقالت فى لهجة رقيقة مهدئة .. وهى تراه متجهما .. لتخفف عنـه ..

ـ لقد أخطأ الرقم .. لاشك فى ذلك .

وأومأ برأسه .. وتظاهر بتصديقها ..

ولم يكن ذلك حقا .. ترى من هذا العابث ؟.

ـ مادمت واقفا .. أتسمح باطفاء الأنوار ؟.

ومضى يطفىء الأنوار ، وذهب الى النافذة ليسدل الســتائر المعدنية .. وكان من عادته أن يلقى نظرة الى الخارج قبل أن يغلق النافذة ..

كانت شيلا فى البيت المقابل تعزف على البيانو وقد أرتدت ثوبا من «الشيفون» الرقيق الأحمر .. وهى وحيدة فى الغرفة الواسعة التى يتناسب نورها الوردى مع لون ثوبها . وقد لفت شــعرها الكستنائى حول رأسها .. وبدأ عنقها الأبيض طويلا .

ـ الا تنوى أن تقرأ ؟.

وأمسك بصحيفة السنداى تايمز .. نظر فيها .. ثم ما لبث أن القاها وانطلق الى غرفته ..

وجلس امام قمطره .. وكتب على ورقة بالقلم الرصاص :

ـ ترى ما الذى يشغل تفكيرى ؟.

ومضى الوقت ثقيلا بطيئا .. مثل قطرات الماء التى كانت تتسـاقط من السقف .. ثم كان العشاء . وصوت غسيل الصـحون فى

الحوض .. والمقعد الوثير بجوار المدفأة .. وأخيرا انطفأت كل أنوار البيت .

ثم يبدأ يوم آخر جديد ..

وبدأ يعتاد اختلاس النظر عبر النافذة .. حينما يثق فى أن كريستين فى شغل عنه .. وكانت هى الأخرى تشيح بوجهها حتى لايعرف أنها فهمت .

الفصل الثانى

ظلت المصابيح مضاءة طيلة نهار الأربعاء .. فقد كانت الغيوم الكثيفة والضباب الثقيل يحجب الشمس عن الظهور . مما حمل قائدى السيارات على أن يضيئوا أنوارها الأمامية .. التى كانت تغطى بقوتها على أنوار مصابيح الشوارع .

ولم يغتسل آشبى .. بل لقد فكر أن يترك ذقنه تطول تعبيرا عن احتجاجه وسخطه . أما كريستين .. فكانت حين تراه يجول فى البيت بلا هدف .. تشعر بحالته الذهنية .. وتمضى فى أعمالها المنزلية فى صمت وتمشى على أطراف أصابعها حتى لاتثيره .

وسألها :

ــ متى تذهبين لشراء حاجياتك ؟ .

ولم يكن يهتم بذلك من قبل .

ــ لن أحتاج لشيء اليوم . لقد ابتعت أمس كلَّ ما يلزمنا لمدة يومين ..

ــ ألن تخرجى ؟ .

ــ ليس فى هذا الصباح . لماذا ؟ .

وفى تلك اللحظة قرر أن يغتسل ويرتدى ملابسه . ثم انطلق الى غرفته ليكتب بعض الأسماء فى وريقاته . بيد أنه ما كاد يعود الى غرفة الاستقبال حتى دق جرس التليفون .

ورفع المسماع .. وهو يعلم بأن الذى حدث سوف يتكرر .. فقال فى هدوء وبصوت طبيعى ..

ــ أنا آشبى !.

ووقف ساكنا .. دون أن يسمع اجابة . وكانت كريستين تنظر اليه صامتة .. ولم يشأ أن يظهر لها انزعاجه ، رغم أن دمه كان يغلى فى عروقه ـ ياللسماء !. هذا أفظع من طبـــع كلمة السفاح على الجدار من الخارج ..

ووضع المسماع وقال ساخرا :

ـ يبدو أن رجال الشرطة يتأكدون من وجودى .. خشـــية هربى .

قال ذلك حتى يطمئن كريستين ..

ـ أتعتقد أنهم يستعملون مثل هذه الأساليب ؟.

وشدما دهش حينما سمع نفسه يقول فى صوت عميق حاد :

ـ اذن .. فلا بد أنه القاتل !.

وكان يؤمن بما يقوله فى هذه المرة .. ولم يكن ثمة دليـــل أو برهان . ولكن هل يستبعد قيام صلة بينه وبين الرجل الذى قتل بيل ؟ ان القاتل يعرف آشبى .. ولا ريب فى ذلك . وكان يراقبه .. وما زال حتى الآن يراقبه .. وربما كان الشر يسحق ضـميره فى تلك اللحظة .. ولولا خشية افتضاحه لقال له فى التليفون:

ـ أنا الرجل الذى تبحثون عنه !.

وذهب سبنسر الى الصوان وارتدى معطفه وقبعته . ثم جلس على المقعد ليرتدى حذاءه الطويل .

ـ أتذهب بالسيارة ؟.

ولم تشأ أن تسأله الى أين هو ذاهب. وانما ستعرف من اجابته المسافة التى سيقطعها .

ـ لا .. لن أذهب الى أبعد من مكتب البريد .

ولم يكن قد زار مكتب البريد منذ حادث بيـــل الا مرتين .. واعتادت زوجته فى بقية الأيام أن تمر به كلما انطلقت للسوق لشراء الطعام . وتحضر له الخطابات والصحف فى نفس الوقت ..

ـ اتحب أن ارافقك ؟.

ـ لا .

ورأت أن من الخير أن تتركه لشأنه . ومن العبث أن تثنيه عن عزمه .

وتريث لحظة ليحشو غليونه بالطباق ، وليرتدى قفازه .. وهو لا يحول بصره عن نافذة شيلا نيشان . ولكنه لم ير أحدا . ربما كانت تتناول افطارها فى فراشها ..

وهبط من التل.ثم انحدر يمينا فى الطريق الرئيسى..وتوقف برهة أمام واجهة متجر لبيع الأدوات الكهربية .. يتطلع من خلال الزجاج الى معروضاته .. ثم استأنف سيره الى مكتب البريد بعد أن نظر فى ساعته وتأكد أنه لم تمض الا دقائق على وصول دفعة الصباح من الخطابات .

وذلك يعنى أنه سيجد هناك أكثر من خمسة عشر رجلا من صفوة المجتمع ممن يتوقعون دائما خطابات هامة ويحضرون بأنفسهم لتسلمها ومن عادتهم ان يقطعوا الوقت فى الحديث ريثما ينتهى الموظفان من ترتيب الرسائل فى صناديق التوزيع المختلفة .

كان يشعر منذ الصباح الباكر بأن شيئا كريها سوف يحدث، وحتى لا يتعذب فى انتظار البلاء ، مضى يستعجله بنفسه ولذلك انطلق الى مكتب البريد ..

ولم يكن يدرى ما كنه ذلك الشىء أو كيف سيحدث . بيد أن ذلك كله كان قليل الأهمية بالنسبة اليه مادام قد قرر ان يواجهه فى حزم وجرأة عند الاقتضاء .

وكان سيسيل جبس ناظر مدرسة كرستيفو يأتى بنفسه كل صباح ليتسلم بريد المدرسة ؛ وأدرك آشبى من رؤيته للسيارات الواقفة عند المنحنى بأنه موجود . فمن السهل على كل انسان أن يتعرف على سيارات القرية وأصحابها .

وارتقى سبنسر الدرجات القليلة . ثم دفع الباب فوقعت عيناه مباشرة على وستون فوجان وكان يتحدث مع اثنين احدهما السيد جبس ذاته .. والثاني أحد ملاك المزارع القريبة .

وكان الود مفقودا بينه وبين وستون . ابن عم كريستين — اذ إنه لم يستطع أن ينسى ما أصابه بسبب زواج سبنسر من ابنة

عمه بعد أن كانوا يعتبرونها عانس الأسرة الثرية التى ترعاهم جميعا بمالها .. وتؤول اليهم ثروتها بعد وفاتها .

على أن كل ذلك لم يكن له أهمية فى تلك اللحظة . كل ما كان يدور فى رأس سبنسر وقتئذ أن ماتوقعه سيحدث فورا .. فانطلق بخطوات متئدة .. ونظراته مستقيمة للأمام . فى تحد سـافر ومد يده الى فوجان .

وكان وستون .. ذا حيثية ومكانة .. ليس لأنه محام فحسب بل لأنه من محترفى السياسة . وأيضا لما اشتهر عنه من سلاطة اللســـان ..

وبدا كأن وستون قد اعمل فكره فى سرعة وهو يرى اليـــد الممدودة اليه وأخيرا عقد ذراعيه فوق صدره وقال فى صوت حاد مرتفع حتى يسمعه من فى الركن البعيد من مكتب البريد .

ـ اسمح لى ياسيد سبنسر أشبى بأن أعبر لك عن عجزى عن ادراك هدفك . أنا أعلم ان قانوننا ينص على أن الانسان برىء حتى تثبت ادانته .. ولكنى وفى نفس الوقت لا أستطيع أن أسد أذنى او اغمض عينى .. عما يتردد على ألسنة الناس .

كان قد أعد خطابته .. ربما منذ بضعة أيام . متأهبا لأول لقاء له مع أشبى .. وها هى ذى الفرصة قد حانت له أخيرا . فمضى يضغط على الحروف وكأنه فى ساحة المحكمة ..

ـ انت ما تزال مطلق السراح . وأهنئك على ذلك . ولكن .. هلا وضعت نفسك مكاننا ؟ هب أن احتمال ادانتك لا يزيد على عشرة فى المائة ..ألا ترى انك تدفعنا للمخاطرة بكرامتنا ـ مع هذه النسبة الضئيلة .. فنصافح قاتلا لم تمتد اليه يد العدالة بعد ؟ والمواطن الصالح يأنف من وضع أصدقائه فى مثل هذا الحرج ، ويعمل على عدم اثارة موضوعه بظهوره أمام الجمهور .. بل ينبغى عليه أن ينكمش حول نفسه بقدر استطاعته .. وينتظر .. هذا كل مـا أســتطيع أن أقوله لك .

واخرج علبة سجائره . وفتحها واخذ منها سيجارة ثم دق طرفها على ظهر العلبة .. ولم يتحرك أشبى رغم أنه أطول قامة من

فوجان واخف حركة .. وما أن مضت الثوانى الأولى . والتى تحمل الخطر .. بسلام دون أن يحـــدث شيء ... حتى تراجع فوجان الى الوراء وكأنه يعد الموضوع منتهيا ..

وعلى عكس ما توقع الحاضرون .. لم ينقض سبنسر عليه ، ولم يلكمه او حتى يرفع يده ليصفعه . وربما كان من بينهم من كان يشعر نحوه خفية بالحزن . ويشاركه فى شعوره بالغضب .

وكانت أنفاسه تتردد بقوة وشفتاه ترتعدان .. ولكنه لم يخفض عينيه . بل مضى ينظر فيهم جميعا . مبتدئا بابن عم زوجته .. وأعاد النظر اليه أكثر من مرة .. وكذلك نظر الى السيد جبس الذى تظاهر بأنه مشغول بتسلم خطاب مسجل .

اهذه هى الكارثة التى كان يتوقع حدوثها والتى جاء يبحث عنها قبل أن تبحث هى عنه ؟.

كان فى امكانه أن يجد الجواب المفحم ...

ولكن ما فائدة كل ذلك ! انهم يعلمون جميعا أن وستون فوجان كان أول من عارض زواجه بكريستين .. ولم يخف غضبه من أن تخرج اموال فوجان من يد الأسرة الى رجل غريب .. وطالما اقحم اسم أطفاله فى الموضوع مما حدا بكريستين أن تضع فى وصيتها بندا تخصص جزءا كبيرا من اموالها لتأمين مستقبلهم .

وبدا سبنسر يفكر .. لماذا كانت تحرص زوجته على عدم انجاب أطفال منه . رغم مضى سنوات كثيرة على زواجهما ! انهما لم يتناقشا فى ذلك الموضوع بصراحة كافية . وكان ينزل عند ارادتها دائما . أما الآن فيبدو أن ثمة وجهة نظر أعمق مما كان يتصور .

ولم ينبس بنبت شفته .. وأخرج من جيبه حزمة مفاتيحه وذهب الى صندوق خطاباته ..

لقد تصرف فى شجاعة .. حسب الخطة التى رسمها .. ومع ذلك فانه كاد يفقد هدوءه حين فتح صندوق الخطابات .. وأفلتت من بين يديه بطاقة مصورة كانت آخر ما وضع فى الصندوق وسقطت على الأرض . والوجه الذى عليه الصورة الى اعلى . كانت الصورة ملونة ومرسومة باليد وتمثل مشنقة وتحتها عبارة بالحروف الكبيرة لم يتسع له الوقت لقراءتها .

وانحنى الى الأرض . وهو يسمع ضحكة ساخرة ترن فى اذنيه، شخص واحد هو الذى ضحك من بين نحو خمسة عشر رجلا فى مكتب البريد .. ثم التقط البطاقة . ودون أن ينظر اليها ألقاها فى سكون فى سلة المهملات ..

ان ما حدث فى مكتب البريد ــ فى نظره ــ ليس الا اعلانا للحرب ولقد بدءوا هم بذلك مما أراح ضميره كثيرا .

وانطلق الى المتجر الكبير .. ولم يحى أحدا .. ولابد أن الموجودين بالمتجر قد علموا بما حدث .. وابتاع طباقا ثم انصرف .

وكان تواقا لكشف سر التليفون .. وهل سيستمر ذلك المجهول فى طلبه ؟ . لقد كان يشعر شعورا عميقا بأنه كان موجودا بينهم فى مكتب البريد .. وربما أرسل هو تلك الضحكة الساخرة رغما عنه . وربما كان هو أيضا صاحب البطاقة .. فهل هو القاتل أيضـــــا ؟ .

وعاد الى البيت بخطوات بطيئة .. والصحف تحت ابطه ... والرسائل فى جيبه .. وسحابة من الدخان تنطلق من غليونه ..

أيحكى لها ما حدث ؟ . لا .. سيصبر حتى يعرف انعكاسات الموقف وتأثيرها عليها حين يصلها النبأ من غيره .

سيصبر حتى يعود الى غرفته .. حيث يحتفظ بسجل للصور العائلية التى تخصه، ومن بينها صورة أمه وسوف يقارنها بكريستين وربما اكتشف عنها شيئا جديدا ..

وكانت كريستين ترقب عودته من وراء الستار كما اعتاد هو أن يرقب عودتها .

ترى هل علمت فعلا بما حدث ؟ ان ذلك لا يبدو مستحيلا ، فقد كان فى استطاعة ونستون أن يتصل بها من تليفون مكتب البريد وينبئها بما حدث .

لقد كانت فى الحق امرأة طيبة ..

كانت تحبه وتبذل قصارى جهدها لاسعاده على نحو ما كانت تفعل فى الجمعيات الخيرية لاسعاد الفقراء ومساعدة المحتاجين ..

ســـألته :
ـ هل من جديد فى الصحف ! .
ـ اننى لم أقرأها ..
ـ ان ريان قاضى التحقيق يريد مقابلتك .
ـ هل اتصـــل تليفونيا ؟ .
ـ لا .. ولكنه أرسل اليك هذه الدعوة (وأشارت الى ورقة صفراء) مع أحد رجال الشرطة . انه ينتظرك فى مكتبه فى لتشفيلد فى الساعة الرابعة .. ولقد سألت الشرطى عن سبب اسـتدعائك ويبدو أن التحقيق لم يسفر عن أية نتيجة ، وأنهم لذلك يريدون سماع الشهود من البداية ...
وازعجها أن تراه هادئا لا يبالى .
ســـألته :
ـ هل تريدنى أن أذهب معك ! .
ـ لا ..
ـ متى تريد تناول غداءك ؟.
ـ وقتما تشائين .
وأمضى سبنسر بعد الغداء فى مقعده الوثير بجـــانب المدفأة ، ووثب على صوت رنين ، ولكنه بقى فى مقعده وتناولت كريستين السماع وانصتت وذكرت اسمها ، ثم لم تسمع شـــيئا فأعادت السماع الى مكانه ..
سألها وهو لاهث الأنفاس :
ـ أهو أيضا ؟ .
ـ لم يتكلم .
ـ هل سمعته يتنفس .
ـ أجل ..
وصمتت لحظة ثم أردفت :
ـ أواثق من انك تريد الذهاب بمفردك ؟ .
ـ نعم ... سأذهب وحدى ..
ـ سوف ابتاع بعض ما يلزمنا من متاجر لتشفيلد ريثما تنتهى من قاضى التحقيق .
ـ وما الذى تريدين شراءه ؟.

ـ اشياء بسيطة .. خيط أزرار .. بعض أربطة المطاط .

ـ تستطيعين أن تشترى كل ذلك من هنا .

انه لا يريد أن يرافقه أحد . فسوف يغادر مكتب قاضى التحقيق فى الليل . ولقد مضى عليه حين من الدهر لم ير فيه مدينة . حتى ولو كانت صغيرة مثل لتشفيلد . تسطع بالأنوار ليلا .

وملأ كأسه بالشراب .

ـ هل أملأ لك كأسا ؟ .

ـ ليس الآن وشـــكرا ..

ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تضيف :

ـ لا تفرط فى الشراب .. ولا تنس انك ذاهب لمقابلة ريان .

ولكنه لا يفرط فى الشراب أبدا . انه يخاف من ذلك بالفريزة .

مسكينة كريستين ! كانت تتوق الى مصاحبته لتحميه .. ليس فقط لأنها تحبه وانما كذلك بدافع من واجباتها كزوجة . أو ربما لانها .. بطبيعتها .. تمثل المجتمع .

هل كانت تحبه حقا .. بكل ما فى الكلمة من معنى جميل ؟ انه ليشك فى ذلك . فلعلها قد ألفت فقط وجوده .. كأى قطعة من اثاث البيت .. تحزن اذا فقدت أو استهلكت ! .

وصب لنفسه كأسا أخرى .

ـ سبنسر ! .

ونظر اليها .. متظاهرا بالدهشة وعدم الفهم .

ـ ماذا ؟ .

ولم تجرؤ على أن تكرر تحذيرها له ، فصمتت .

ـ انظرى .. هاقد عاد ! جاء ليتأكد من أن أحدا لم يخطفهــا ويطير بها ! .

وكان يتكلم بلهجة غريبة على اذنيها . فلم يسبق ابدا أن تحدثا عن نبشان الذى كانت سـيارته قد وقفت أمام الدار . وحدجت كريستين زوجها فى دهشة ، وفى قلق حقيقى . وكان يدرك أنه أغضبها ولكنه لم يلق اليها بالا ، وانطلق الى غرفة النوم ليمشــط شعره قبل أن ينصرف .

ـ الى اللقاء .. وسأعود فورا .

وانحنى فوقها حيث كانت جالسة تحيك . وقبل جبينها .. وعندئذ حاولت أن تلمس معصمه فى رفق بأطراف أناملها مشجعة أو ربما لتبعد عنه الشر والسوء .

ـ تمهل وأنت تقود السيارة .

ولم يكن فى نيته أن يفعل ذلك . وهو لا يحب اذا اراد الموت أن يموت بهذه الوسيلة .. بل أنه ليشعر بالفرحة وهوينطلق وحيدا ينهب الطريق المظلم بسيارته وانوارها الأمامية الساطعة تتراقص فوق قمم الأشجار ..

لم يستطع أن يبتلع غضبه لعودة نيشان المفاجئة . ولعل الرجل ينوى اطالة البقاء هذه المرة وهو الذى كان يمضى وقتا وجيزا ثم ينصرف ليغيب أسابيع .ولا يدرى لماذا لسعت نيران الغيرة قلبه حينما رآه يتمطى فى غرفة نومه . ولم تكن شيلا موجودة . ولعلها كانت فى الحمام تتعطر .. هل كان ينكر على شيلا الفاتنة الحسناء أن تكون زوجة لهذا الفيل القصير الأصلع ؟ ..

ولابد أن ريان اراد تحطيم اعصابه فانه حين وصل فى تمام الرابعة وجد قاعة الانتظار خالية ، فطرق الباب ولمح قاضى التحقيق يتحدث فى تليفون مكتبه . وفى نفس اللحظة ظهرت الآنسة مولر فى مدخل الباب تقول :

ـ هل تسمح بالانتظار برهة يا سيد آشبى ؟ .

وأشارت الى مقعد فى الغرفة الخارجية . فانتظر حوالى العشرين دقيقة .لم يدخل خلالها أحد مكتب القاضى أو يخرج منه ومع ذلك فحين أقبلت الآنسة مولر تستدعيه . فوجىء برجل متوسط السن قصير الشعر يجلس فى ركن الغرفة .

ولم يقم ريان بواجب التعارف بين آشبى والغريب الذى ظل جالسا فى مكانه واضعا ساقا على ساق ، وكان يرتدى حلة أنيقة من الطراز المعروف فى نيو انجلند .وتبدو عليه تلك النظرات العميقة التى يتميز بها الأطباء النفسيون .

ولقد صح حدسه بشأن مهنة الرجل حينما تعرف به فيما بعد وعلى أية حال ما كان يختلف الوضع لو أنه لم يكشف شخصيته فقد كان يحفظ ما سيقوله عن ظهر قلب .ولذلك واجه ريان بنظرات ثابته ضايقت قاضي التحقيق .

قال القاضي

ـ اجلس يا سيد آشبى . لعلك قد سمعت بأننا قد عدنا ـ رغم مضى أسبوع فى تحقيقات مضنية ـ من حيث بدأنا ان لم تكن قد رجعنا القهقرى . ولذلك فقد قررت أن أبدأ التحقيق من جديد . ولعلنا نصل الى حلقة مفقودة لم نكشفها من قبل .

ولقد دعوناك لأنك الشاهد الأول فى هذه القضية .. وفى نفس الوقت سيقوم الشرطة باجراء تجربة زمنية مع السيدة نيشان ـ الشاهدة الثانية ـ ليتأكدوا من صدق ما قررته لنا .. وفى ايجاز أنت ترى اننا نبذل ما فى وسعنا حتى نصل للحقيقة .

وربما أراد ريان أن يخيف آشبى بتلك المقدمة ، ولكن النتيجة كانت عكسية . فقد ضاعف ذلك الوعيد الخفى من صلابته وتركيز أفكاره .

ـ وسوف اوجه اليك نفس الأسئلة .. بنفس الترتيب الذى جرى عليه التحقيق الأول . وستقوم الآنسة مولر بتدوين اجاباتك.

ولم تكن الفتاة تجلس على أريكة منخفضة فى هذه المرة . بل كانت وقتئذ أمام مكتبها .

ـ امستعدة انت . باآنسة مولر ؟ .

ـ نعم .

ـ أعتقد أن ذاكرتك قوية يا آشبى ؟ . كل الناس تعتقد أن المدرسين يتميزون بقوة الذاكرة .

ـ ذاكرتى ليست نموذجية كما تظن .. وربما لم استطع أن اعيد ما سبق أن أجبت به حرفيا ..

هل يمكن أن يقف طموح ريان عند حد ؟ سوف يترقى فى الانتخابات القادمة لوظيفة رئيس محكمة ، وبعد اثنى عشر عاما ..

سوف يصبح عضوا بمجلس الشيوخ .. وربما مستشارا بالمحكمة العليا .. براتب لا يقل عن عشرين ألف دولار سنويا. وسوف يستمر نجمه فى الصعود .. طالما له نفس الأصدقاء الذين يدفعونه دفعا لتخطى العقبات وقفز الدرجات ..

– تبين مما قررته زوجتك لنا ... انك لم تغادر الدار ليلة الحادث .

– هذا صحيح .

وسرعان ما أدرك أنه يتذكر عن ظهر قلب كل ما قاله فى التحقيق السابق .

– لماذا ؟.

– لا افهم ما تعنيه ..

– لماذا لم تغادر الدار ؟.

– لأنى لم اشعر بأية رغبة فى ذلك .

– اتصلت بك زوجتك تليفونيا .. الخ .. الخ .. هل من الضرورى أن استمر ؟.

– أجل . وكان جوابى عليها انى على وشك أن انتهى من عملى وسأذهب الى فراشى توا .

– اقال ذلك حقا ؟.

وأومأت الآنسة مولر برأسها .. وتوالت الأجوبة .. وشد ما دهش حينما وجد انه يكرر بعضها .

– الم تر الفتاة ؟.

– جاءت الى غرفتى لتحيينى تحية المساء .

وشعر آشبى .. كانه يرى حلما .. سبق أن شاهده من قبل . وتساءل هل ياترى ستكون له نفس الخاتمة ؟.

– هل قالت لك أنها ستأوى الى فراشها ؟.

واختلس نظرة نحو الرجل الغريب .. وخيل اليه انه يتفحصه فى اهتمام .

– لم أسمع ما قالت .

وكان عد صمت برهة وهو يجيب عن السؤالّ الأخير . ربما لأنه شغل بذلك الغريب الذى لم يقم ريان بـ احـ ، تقديمه اليه .. أو لعل عبارة « فراشها » قد أعادت الى ذه ملقى على الأرض ..

ـ اتشعر بتعب ؟.

ـ لا .. لماذا ؟ .

ـ يبدو كأنك متعب .. أو قلق .

وتبادل ريان مع الغريب نظرة خاطفة وكأنه يقول له :

ـ هل رأيت ؟.

ولم يتكلم « فوستر لويس » وهو اسم الغريب .. ولم يتدخل ابدا فى الحوار . وقد يكون ذلك لأن وجوده ليست له الصبغة الرسمية . وآشبى وان كان لم يتعمق فى دراسة المواد القانونية الا أنه يعلم أن مكتب قاضي التحقيق لايصلح بتاتا للاختبارات النفسية وانما المكان الصحيح لذلك هو المستشفى أو العيادات النفسية . وليس فى حضور سيدة صغيرة حتى ولو كانت سكرتيرة التحقيق .

ثم .. ما حاجة ريان الى الطبيب النفسانى ؟ أتراه قد اكتشف خللا فى سلوك آشبى ؟ أم لمجرد اعتقاد قاضى التحقيق بأن مرتكب الحادث لابد أن يكون شخصا فاقد الاتزان ولذلك استعان بالطبيب ليسمع كل اجابات المشتبه فيهم ؟.

وتكررت الأسئلة القديمة ..

ـ متى كان ذلك ؟.

ـ لم أهتم بحساب الزمن .

ـ بالتقريب ؟.

ـ لست لدى أية فكرة .

ـ . . . .

ـ . . . .

ـ أكانت قد عادت توا من السينما ؟.

ـ . . . .

وكانت الأسئلة القديمة قد أوشكت على النهاية ..

ـ هل كانت ترتدى قبعتها ومعطفها ؟.

ـ اجل ..

ـ ماذا ؟.

كان قـــد أجـاب بلا تفكـير .. وأدرك انه اخطـأ فاردف معتذرا ..

ـ معذرة .. كنت اريد أن اقول انها كانت ترتدى قبعة رخوة سوداء .

ـ أواثق أنت ؟.

ـ أجل ..

ـ الا تتذكر أنها كانت تحمل حقيبة ؟.

ـ ......

ـ ......

ـ أكان لها رفاق من الشباب ؟ .

ـ أجل .. شبان وفتيات كثيرون وكثيرات ..

وكان يعرف أن ذلك ليس صحيحا .. فقد كان ثمة شابان .. توليهما اهتماما خاصا .

ـ فيما تفكر ؟.

ـ لاشىء .

ـ الا تعلم أن كانت تخص احـدا بحبهـا .. وتميزه بأمرها عن الباقين ؟.

ـ أنا ..

ـ حسنا ؟.

ـ هل أجيب نفس اجابتى السابقة ؟.

ـ بل عليك أن تقرر الحقيقة

ـ ولكنى قد قرات ماذكروه عنها فى الصحف ..

ـ اذن .. عرفت أنه كان لها عشاق ؟.

ـ أجل ..

ـ وكيف كان شعورك وقتذاك ؟.

ـ أنكرت ذلك ولم أصدق فى بادىء الأمر ..

ـ ولماذا ؟.

ـ لأنى كنت أومن بالشرف والفضيلة بين الناس ..

ـ هل أفهم من ذلك أنك عدلت عن ايمانك ؟.

ـ عموما . لا أظن . أما فيما يختص ببيل شيرمان .. فأعتقد نعم . ألم تشعر أنت بذلك أيضا ؟.

الفصـــل الثــالث

وبدا التحقيق يتخذ سبيلا جديدا خارجا عن نطاق روتين الأسئلة القديمة . وصمت ريان لحظة مفكرا وهو يرمق فوستر لويس بنظرة سريعة .. وكان هذا ما يزال قابعا فى ركن الغرفة وكأن الأمر لا يعنيه .. ثم تحول القاضى الى سكرتيرته قائلا :

ـ يمكنك أن تنصرفى الآن يا آنسة مولر .. وأرجو أن تعيدى كتابة التحقيق على الآلة الكاتبة .

لماذا يصر على أن يدعوها بتلك اللهجة الرسمية . كأن ما بينهما لا يتعدى ما تحتمه طبيعة العمل ؟ وبأى اسم ياترى ينـــاديها حين ينفــرد بها ؟.

كانت ذات عينين واسعتين .. وصدر عريض بارز .. وحينما مرت بآشبى حدجته بنظرة طويلة حتى غابت فى الغرفة الأخرى .. وتركت الباب مفتوحا .

وكانت أعصاب آشبى فى تمام هدوئها . فقد انطلق الى المكتب وافرغ غليونه فى منفضة الطباق تحت أنف قاضى التحقيق .. ثم عاد الى مقعده . وحشا غليونه مرة أخرى . ووضع ساقا على ساق واشعله ومضى ينفث دخانه فى الهواء وكأنه يستمتع برحلة جميلة فوق سطح احدى السفن ..

ـ ربما تلاحظ أننا من الآن فصاعدا لن نسجل اجابتك . هذا لان الأسئلة التى سوف أوجهها اليك .. لها صفة خاصة ولا تدخل فى نطاق التحقيق .

ويبدو أنه كان يخشى أن يجد معارضة من آشبى .. فبادره بتلك المقدمة ..

ـ هل لى أن أسألك أولا .. كيف مات والدك ؟.

ولا شك فى أن ريان كان يعرف الجواب على ذلك السؤال .. وهو مثبوت فى الورق المطبوع أمامه . فلماذا يريد من آشبى أن يذكره له .. هل يقصد بذلك تسجيل انطباعاته ؟.

وحتى يريه أنه قد كشف مرماه .. نظر الى لويس واجاب..

ـ لقد انتحر والدى .. بأن أطلق الرصاص على نفسه .

بيد أن لويس ظل صامتا ساكنا ينظر دون اكتراث . أما ريان فقد بدأ يومىء برأسه كما يفعل بعض المدرسين لتشجيع تلاميذهم على الاجابة .

ـ هل تعرف لماذا أقدم على ذلك ؟.

ـ ربما كان قد شبع من الدنيا ومل الحيـــاة ... اليس كذلك ؟.

ـ أعنى .. هل كان يواجه أزمة مالية .. أو بعض الظـروف العائلية القاسية مثلا ؟.

ـ لقد سمعت شائعات فى محيط الأسرة .. لم اعن بتمحيصها. قالوا انه بدد ثروته الخاصة وجزءا كبيرا من ثروة أمى أيضا .

ـ يخيل الى انك كنت تحب أباك جدا ياسيد آشبى . أليس كذلك ؟.

ـ كنت لا اكاد اعرفه .

ـ ألأنه كان يكثر الغياب عن المنزل ؟ .

ـ بل لانى كنت دائمــا فى المدرســة الداخلية .. وقلمــا كنت أراه ..

وكان يتوقعهذا النوع من الأسئلة .. ولابد انهاعد اجاباتهعليها ولم يشعر بصفاء ذهنه وهدوء باله من قبل بمثــل ما شعر فى هذه اللحظة .

ـ وماهى الصورة التى رسمتها فى ذهنك عن أبيك ؟.

وابتسم آشبى ..

وانت ياحضرة القاضى .. ما الصورة التى كونتها انفسك بعد الاطلاع على ما وصلك من التحريات ؟ . أعتقد ان ميوله لم تتفق مع الآخرين ولم تكن تحوز التقدير ..
ـ وكم كان عمره حينما مات ؟ .
وصمت لحظة مفكرا .. وحين تذكر قال فى دهشة واضحة :
ـ سبعة وثلاثون عاما .

اى اقل من عمر آشبى الآن بثلاثة أعوام كاملة ! لقد ساءه أن يدرك أن أباه لم يتح له أن يعيش مثله .. بل أنهى حياته فى وقت مبكر ..
ـ هل تجد الحديث فى هذا الموضوع مؤلما ؟.
وهز آشبى راسه نفيا ..

ـ هل كان لك أصدقاء فى المدارس التى عملت فيها ياسيد آشبى ؟.
وفكر لحظة .. انه كان منطويا على نفسه .. يكاد يكون بلا أصدقاء . ولكنه لم يقرر ذلك بل أجاب ببساطة :

ـ قليل من المعارف .. مثل أى انسان .
ـ ولكنى أسألك عن .. أصدقاء .
ـ قلما اتخذت لنفسى صديقا .
ـ ولاأحد ؟.
ـ فى الحقيقة .. لا أحد بالمعنى المفهوم فى الصداقة ..

ـ اذن .. هل افهم من ذلك أنك كنت كالذئب المنفرد عن القطيع ؟.
ـ ليس ذلك تماما .. كنت منضما لبعض الفرق الرياضية .. وطالما اشتركت فى مباريات كرة القدم والبيسبول والهوكى ..

ـ ومع ذلك لم تحاول أن تخلق علاقات المودة والألفة مع بعض رفاقك ؟.
ـ لعلهم هم الذين لم يحاولوا ذلك .
ـ أكان ذلك لما سمعوه عن أبيك ؟.
ـ لا أدرى .. ولم يقل ذلك أحد .

ـ الا ترى ياسيد آشبى .. انك خجول مفرط الحساسية ؟ لقد عرفنا أنك كنت من ألمع التلاميذ وأذكاهم وفى المقدمة دائما .. ولكنك كنت فى نفس الوقت تبدو ميالا للحزن والتشاؤم . تنظر الى الدنيا بمنظار قاتم .

وأدرك مما لمحه على المكتب من التقارير الكثيرة التى جمعوها من مختلف المدارس انهم نشطوا فى جمع تلك المعلومات .. ولاشك انه كان بينها تقرير ذلك العميد العجوز ذى اللحية الطويلة الذى طالما الحف عليه أن يختار لنفسه فرع البحوث العلمية .. ليختفى فى اى معمل .. ويجنب نفسه مشقة التدريس والاصطدام بالناس، مع حالته النفسية المشار اليها ..

كذلك كان واضحا مما ذكرته الصحف انهم لم يستجوبوا فقط كل الأولاد والبنات المقيمين فى المنطقة ، بل استجوبوا كذلك جميع أصحاب المشارب والمقاهى وعمال المسارح والسينمات ومحطات البنزين فى دائرة اتساعها عدة «أميال» ..

وفى نفس الوقت نشط رجال المخابرات والمباحث الجنائية لنبش ماضى بيل ، وكل مايتصل بطفولتها وحياتها المدرسية ، ومعارفها من الجنسين .. أى أن التحقيق قد شمل مئات من الناس فى كل مكان ..

كل ذلك قد تم فى نحو أسبوع ، فياله من مجهود ضخم .. مما جعله يتذكر فيلما علميا عرض فى مدرسة كرستيفو منذ سنوات يوضح كيف تنظم كرات الدم البيضاء نفسها كأى جيش عالمى كبير، لتحاصر جرثومة دخيلة على الجسم ، ولا يهدأ لها بال حتى تقضى عليها قضاء مبرما ..

عجبا ! الوف من الأرواح تزهق فى حوادث السيارات والقطارات والطائرات والسفن .. والوف يلفظون أنفاسهم فوق أسرتهم كل مساء .. ولا تتحرك شعرة واحدة من ذلك الجهاز الضخم .. ولكن حين يصرع مجهول فتاة تدعى بيل شيرمان .. خنقا فى غرفة نومها فالدنيا تنقلب رأسا على عقب .

كان ذلك لأن ذلك المجهول قد جرؤ على احداث شروخ جسيمة فى المرآة التى اعتاد المجتمع أن يرى فيها وجهه . فأفسد الرؤية

وحطم المقاييس . وخرج عن المبادىء التى لا يؤمن بها احد الا مراعاة وخداعا وكذبا .. ان ماحدث لبيل من السهل أن يحدث لأى انسان فى اى مجتمع ومهما كان مركزه .. ولكن المجتمع الذى تقدسه كريستين .. يثور ثورة عارمة ، ويصر على ضرورة العثور على ذلك الانسان .. ويقتص منه .. بل ليبتره من الوجود بترا بلا هوادة او رحمة ..

ـ لماذا تبتسم ياسيد آشبى ؟.

ـ وهل تريد أن أعبس يا سيدى القاضى ؟ .

وقد تعمد أن يناديه بلقبه الرسمى .. وفى نفسه غضب .

ـ أترى فى هذا التحقيق شيئا مضحكا ؟.

ـ لا .. لا .. وأؤكد لك اننى أفهم أنك تختبر قوه احتمالى عقليا . ولعلك قد لاحظت اننى اجيب عن أسئلتك بقدر استطاعتى حتى أيسر لك السبل الى ماتريد .. وسأظل تحت أمرك حتى تفرغ منى ..

واضطر لويس للابتسام .. وكان ريان فى حاجة لمزيد من الكياسة حتى يمضى فى مهمته مع مثل هذا الرجل ولم يغب عنه ذلك . فتحرك فى مقعده فى قلق وسعل ثم هرس عقب سيجارة فى المنفضة .. وقضم طرف سيجار جديد ثم لفظه أمامه وأشعله ..

ـ لقد تزوجت حديثا يامستر آشبى .. أليس كذلك ؟.

ـ كنت فى الثلاثين ..

ـ هذه سن متأخرة . هل كانت لك مغامرات قبل الزواج ؟.

وشد ما احنقه هذا السؤال .. فلم يجب على الفور .

ـ ألم تسمع سؤالى ؟.

ـ أينبغى على ان اجيب ؟.

ـ الأمر متروك لك .

ولابد أن الآنسة مولر .. كانت تنصت لما يقال . فالباب مفتوح على مصراعيه .. ولا صوت للآلة الكاتبة ، ومع ذلك .. فما الذى يهم آشبى ان كانت تنصت ام لا .

ـ حسبما افهم من سؤالك وعبارة « مغامرات » فلم تكن لى مغامرات ابدا يا سيد ريان .

ـ مجرد استلطاف ؟ .
ـ ولا هذا ..
ـ هل تعنى بأنك قاطعت النساء حتى بلغت الثلاثين ؟.
ـ لا .. مجرد عدم اهتمام .

ـ ألم تكن لك صديقة قبل الزواج ؟ .
وصمت مرة أخرى .. لماذا لا يصارحهما بكل شىء ؟.
ـ ليس ذلك تماما .. كان يحدث نادرا .

هل يحاولون ارغامه بهذه الطريقة على الاعتراف ؟ هل ينظرون الى ذلك السلوك باعتباره أمرا غير مألوف ؟ .

ـ اظنك ستصر على أنك لم تلق انتباها للآنسة بيل شيرمان .. طول الفترة التى اقامتها فى دارك ؟.

ـ نعم .. كنت لا أكاد اشعر بوجودها .

ـ ألم تمرض قط يا سيد آشبى ؟.

ـ بالحصبة حينما كنت طفلا . والتهاب رئوى منذ عامين فقط .

ـ ألم تشعر بأى خلل فى جهازك العصبى ؟.

ـ أبدا .. فيما أعلم . بل انى أعتبر نفسى عاقلا تماما .

ولعله كان مخطئا وهو يجيب بتلك اللهجة . حقيقة انه فى مثابة الدفاع عن نفسه .. ولكن أعداءه يتربصون به الفرص مسلحين بأسلحة كثيرة يجهلها .. لأنهم يمثلون القانون . فهل تراهم يسلكون السبل الشريفة للبحث عن المجرم الحقيقى .. أم يدفعهم حقدهم عليه لخلق الأدلة التى تدينه ليجعلوا منه الضحية التى يتعطش المجتمع لدمائها ؟.

أيسعون وراء العقاب ؟ حتى يهدأ بال الناس ويعيشون فى طمأنينة وأمان ؟.

وهل ينظرون الى آشبى باعتباره الرجل الذى أصدر المجتمع حكمه عليه بلا مقدمات او مبررات . على حين كان المجرم فى نظر

السيد هولوى . رجل الشرطة الذى حنكته التجارب والايام . يروح ويجىء وحول راسه هالة من نور ؟. ولكنه بعد عام أو عشرة أعوام أو عشرين عاما أو أقل او اكثر وحين تتاح لهنفس الظروف والفرصة الملائمة .. يكرر جريمته مرة أخرى .. ولو نظر كل فرد فى ذلك المجتمع فى داخل قلبه وفتش فى نفسه وضميره .. لوجد نفسه معرضا لما حدث لآشبى .

كل ذلك محتمل .. ولكن لماذا يلصقون به ذلك الاتهام بالذات .. دون غيره من أفاضل الناس ؟.

حتى السيد جبس ناظر مدرسته .. الذى يعلم عن خلقه ما يعلم . لم يستنكر مثل تلك التهمة . فى غمضة عين نبذوه . ولو استطاعوا لرجموه . حتى يقيموا فى أوسع الميادين تمثالا يؤكد طهارتهم ونقاء سريرتهم !.

ــ لا أظن أن هناك أسئلة أخرى أوجهها اليك ..

ماذا سيصنعون به ؟ هل سيلقون عليه القبض فورا ؟ لم لا ؟ وأحس بجفاف فى حلقه .. فقد كان يشعر بالذعر فعلا . بل لقد بدأ يلوم نفسه لجفاف لهجته مع قاضى التحقيق ، فأمثال هؤلاء الناس يحبون من يحرك شعور العطف فى نفوسهم ..

ــ وما رأيك يا لويس ؟.

تلك كانت المرة الأولى التى ينادى فيها ريان الطبيب النفسانى باسمه فى مواجهته .. لقد أطلق ريان القط من الحقيبه أخيرا ، وكان يتحدث فى مرح .. يحمل بين طياته شيئا من الصرامة .

ــ لابد أنك سمعت بضيفنا يا سيد آشبى .. فوسنر لويس من الم الأطباء النفسيين من المدرسة الحديثة ، ولقد دعوته كصديق ليحضر التحقيق فى هذه القضية . ولست ادرى أية فكرة كونها عنك وأنا شخصيا أعتقد انك قد اجتزت امتحانك بتفوق .

وابتسم الطبيب وهو ينحنى فى أدب . وفى النهاية قال :

ــ ان السيد آشبى .. بلا ريب .. على جانب كبير من الذكاء .

وقال ريان فى شىء من الخبث :

ـ أعترف بأنى شعرت بالارتياح لأنه كان معى اهدأ وأظرف من المرة السابقة . ففى المرة الأولى حينما شرعت فى استجوابه كان .. غاضبا .. ثائر الأعصاب .. مما ترك فى نفسى أثرا سيئا .

ثم التفت الى آشبى واستطرد :

ـ شكرا يا سيد آشبى .. وسوف استمر فى التحقيق حسبما تمليه على مقتضيات وظيفتى .. وأود أن أنتهى منه سريعا .

ومد يده . ولم يدر ان كانت علامة خير أم شر .. ومد فوستر لويس يده المعروقة اليه أيضا ..

ولم تخرج الآنسة من الغرفة الجانبية التى دخلتها لتكتب على الآلة الكاتبة . بيد أن الوقت كان متأخرا والمبنى ساكنا .. ومصابيح قليلة تضىء الممرات والردهة الأمامية .

ومضى آشبى فى حذر وقلبه يدق فى عنف .. انهم لا ينـوون القبض عليه بكل تأكيد . وها هو ذا يخرج من الباب الأمامى دون أن يجد أحدا فى انتظاره . أو يلاحظ أن مخلوقا يتعقبه وهو يسير فى الطريق الرئيسى .

وبدلا من أن ينطلق فورا الى سيارته . نظر حواليه بحثا عن مشرب قريب .

لم يكن ظمآن .. وما كانت به حاجة حقيقية الى الشراب ، بل شعر بالرغبة فى أن يفعل شيئا لم يفعله من قبل .. فمنذ قليـــل حينما لمح نظـــرة استنكار من كريستين وهى توجه نظره الى عدم الاسراف فى الشراب .. عاندها فاحتسى كأسين من الويسكى .. الواحدة تلو الأخرى .

وهل كانت حين ألحفت فى ان ترافقه الى ايتشـــفيلد .. الا مشفقة عليه من أن يقع تحت سوط الاغراء .. فيغفل ما هو مقدم عليه ؟ .

ام لعلها كانت تتوقع أن يكون الاستجواب شاقا عنيفا .. وارادت أن تكون بجواره تهون عليه وترفع من معنوياته .. وفى نفس الوقت تمنعه من الاسراف فى الشراب ايضا . او ربما مما هو اســـوأ من

الشراب . انها كانت قليلة الثقة به .. متأثرة بالشعور العام للمجتمع الذى هى أحد أفراده البارزين ..

كانت تثق به نظريا ، ولكن . الم تمر بها لحظات أحست فيها بمثل ما أحس به ابن عمها وستون .. أو حتى ريان ؟.

لأن ريان لم يؤمن ببراءته قط ، رغم ما أظهره من مرح فى النهاية ولعله ينتظر أى هفوة يقع فيها حتى يوجه ضربته القاضية .. فلم تكن الا مسألة وقت يجمعون فيه الأدلة ثم يقدمونه لمحكمة الجنايات ..

وكان الثلج قد بدأ يسقط كقطع القطن الأبيض ، وقد أغلقت المتاجر أبوابها تاركة نوافذ معروضاتها مضاءة للدعاية والاعلان .

ورأى مشربا على الناصية .. لكنه مر به دون أن يدخله حتى لا يقابل أحدا من معارفه فهو راغب عن التحدث الى أى انسان ، وربما كان ريان وفوستر لويس يجلسان بداخله لقربه من مكتب قاضى التحقيق . وأخيرا ولج مشربا فى نهاية الشارع ارتاحت له نفسه لدفء المكان وأنواره الخافتة الهادئة .. ولم يكن قد دخله ابدا من قبل .

وكان التلفزيون يعمل وعلى شاشته الفضية رجل خلف نضد صغير يقرأ نشرة الاخبار ويرفع رأسه من حين لآخر لينظر الى المستمعين .. وكان فى طرف المشرب رجلان أحدهما فى ثياب العمال وهما يتحدثان فى العمارة والبناء.

واتكأ آشبى فوق نضد المشرب الطويل ، ورمق زجاجات الخمور بنظرة فاحصة ، ثم أشار الى نوع من الشراب لم يسبق له أن رآه .

ـ أهذا نوع جيد من الشراب ؟ .

ـ لابد ان يكون كذلك مادمنا نقدمه فى مشربنا ..

ولن يستطيع مخلوق ان يتصور مقدار سرور آشبى لوجوده هناك . فهم لا يعلمون مثلا انه قد مرت أعوام طويلة على آخر مرة دخل فيها مشربا . بل لعل ذلك لم يحدث فى حياته .. سوى مرتين ..

شيء واحد جذب بصره في ركن المشرب .. جهاز الحاكي الزجاجي الأسود وما بداخله من شتى الاغنيات والموسيقى الراقصة وحوله دائرة متحركة من المصابيح الملونة . ولولا أن التلفزيون كان يعمل لنهض اليه ووضع في ثقبه قطعة نقود ليستمتع ببعض الأغنيات التي كانت تبعث في نفسه النشوة والسرور أيام الشباب والصبا ..

والشراب ايضا .. كان مذاقه غريبا في فمه .. يختلف طعمه عن ذلك الذي اعتاد أن يشربه في البيت .. وهذا الساقي ذو الابتسامة العريضة الجذابة وسترته الناصعة البياض .. كل ذلك كان عالما محرما عليه .. أولا لأنه زوج فاضل ، وثانيا لأنه مدرس يهذب النشء .. ومن واجبه أن يحترم نفسه قبل كل شيء ويحرم نفسه كل متعة أو لهو أو سرور .. كأنه ليس انسانا من لحم ودم وروح .. له نفس الشعور والأحاسيس التي لوستون فوجان ..او اي صديق من اصدقاء كريستين !. حتى كريستين كانت ترفه عن نفسها احيانا فتذهب الى حفلات الكوكتيل دون أن يجد في ذلك غضاضة .. ولم يخطر بباله قط أن يسألها ماذا شربت أو مع من جلست ..

ولم يحرم عليه أحد شيئا .. بل هو الذي وضع نفسه في ذلك القفص الحديدي .. واختار الانطواء والعزلة بمحض اختياره ، وشرع تلك المحرمات لنفسه .. متخيلا انه بذلك يضع نفسه في مرتبة أسمى من غيره من عباد الله . حين يتمسك بمبادىء الفضيلة والشرف ..

ثم .. ماذا كانت النتيجة ؟.

لقد أطلق نفسه أخيرا من أسرها .. وبدأ ينفض عن نفسه ثقل القيود والأغلال كالطير الحبيس حينما تفتح له النافذة ويشم نسيم الحرية . انه ينفض جناحيه في عنف ويتأهب للانطلاق ..

وتنفس في ارتياح . وهو ينظر حواليه . كان قد أشار توا للساقي بأن يعيد ملء كأسه . فهو الآن في مشرب عام على الطريق بمدينة ليتشفيلد على مسافة اثنى عشر ميلا من منزله وزوجته .. يملأ رئتيه بتلك الرائحة الغريبة .. وينظر الى وجوه غريبة لم يرها

ويسمع ضحكات غريبة تصك اذنيه .. انه كالسفينة قطعت حبالها التى تربطها باليابسة فجأة . فانطلقت لا تلوى على شيء

وكان الساقى ينظر اليه وكأنه يسأله اذا كان يريد كأسا ثالثة .. ولعله ظنه احد أولئك الأغراب الذين يهبطون المدينة بمفـردهم ليفرقوا أحزانهم فى الخمر ، ولقد رأى الكثيرين منهم يفـدون على مشربه .. بعضهم ينتهى به الأمر الى الانخراط فى البكاء الشديد .. والبعض الآخر تثور فيه غريزة القتال فيتشاجر مع اى مخلوق ..

ولكنه .. لم يكن ينتمى الى أى من تلك النماذج البشرية .

ـ كم تريد ؟.

ـ دولارا وعشرين سنتيما ..

وغادر المشرب .. ومع ذلك فلم يكن ينوى العـودة للدار .. فلربما كانت هذه آخر ليلة يتمتع فيها بالحرية والحياة قبل أن يقرن ريان القبض عليه .. أما ماذا يحدث عندئذ .. فلا يدرى تماما . سوف ينكر الاتهام من أساسه ، وسيكلف أكبر المحامين فى هارتفورد للدفاع عنه .. وهو واثق من انهم لن يجدوا دليلا واحدا ضده .

واذ انطلق فى الطريق .. تذكر شيلانيشان حينـما مر بامرأة شابة ذات شعر ذهبى كانت تحمل على ذراعها طفلة صغيرة . وادار رأسه ليملأ ناظريه بوجهها .. وكانت هى الأخرى ذات عنق أبيض طويل نحيل .. وتوقف برهة ليحشو غليونه ، فاكتشـف أنه يقف أمام مشرب كبير يسطع بالأضواء « كافتريا » . وكان كل شيء فيه يتلألأ بالبياض .. الجدران والموائد ونضد المشرب الطـويل .. ووسط كل ذلك البياض .. لم يكن أمام النضد الطـويل سـوى الآنسة مولر تتناول طعامها .. وكانت توليه ظهرها .. وترتدى قبعة صغيرة من الفراء وسترة انيقة محلاة بالفراء أيضا ..

أى شيطان جعله يدخل هذا المشرب ؟ كان يشعر فى اعماقه ان هذا اليوم يومه ، يستطيع أن يستمتع فيه بكافة حقوقه ورغباته الى مالا نهاية .. ينبغى أن يشرب كأس الحرية حتى الثمالة قبـل أن يضعوه بين جدران أربعة .. وكان يعلم حينما لثم جبهة زوجته ان ذلك المساء لن يعادله أى مساء مر به طوال حياته ..

ـ كيف حالك يا آنسة مولر ؟.

ونظرت اليه مدهوشة .. وكانت تمسك بقطعة من السجق الساخن .

لم يبد عليها الذعر .. وربما ادهشها أن ترى رجلا مثله فى هذا المطعم ..

ـ الا تجلس ؟.

لم لا ؟ وطلب قدحا من القهوة وبعض السجق .. وكان كلاهما يرى الآخر فى المرآة الكبيرة خلف نضد المشرب ويبدو أن الآنسة مولر كانت تعتبره مضحكا .. ولم يغضبه ذلك .

ـ أرجو ألا تكون حانقا على رئيسى ..

ـ أبدا .. على العكس من ذلك أنا أعلم أنه يؤدى واجبه ..

ـ ثمة آخرون لا يرون رأيك .. وعلى أى حال لقد خرجت من الامتحان بتفوق ..

ـ أتعتقدين ذلك ؟.

ـ حينما قابلتهما بعد انصرافك .. كان البشر يعلو وجهيهما . وظننت أنك ذهبت الى منزلك .

ـ وما الذى جعلك تظنين ذلك ؟

ـ لست أدرى .. لابد أن زوجتك تشعر بالقلق عليك .. وتنتظرك .

ـ انها ليست قلقة على ..

ـ حسنا .. اذن .. ربما بحسب العادة ..

ـ أية عادة تقصدين يا آنسة مولر ؟.

ـ انك توجه اسئلة مضحكة .. اعتيادك التواجد فى بيتك .. فلم أتصور أبدا ..

ـ أنى من طراز الرجال الذين يسهرون فى المدينة فى مثل هذا الوقت .

ـ شىء من هذا القبيل .

ـ ومع ذلك .. فقد غادرت مشربا منذ لحظات بعد أن جرعت كأسين من الشراب .

ـ كأسين بمفردك ؟.

ـ لم أكن قد قابلتك لسوء الحظ ... لماذا تضحكين ؟.

ـ لا شيء .. وارجو ان تكف عن سؤالي .
ـ اترينني اضحوكة ؟.
ـ لا ..
ـ هل تذكرت شيئا يبعث على الضحك ؟.
ووضعت يدها فوق ركبتيه في غير كلفة وقالت :
ـ انا لا اصدق ما يزعمه الناس عنك ..
ـ وما الذي يزعمونه عني ؟.
ـ الا تعرف ؟.
ـ ثقيل الدم ؟.
ـ لم اقل ذلك .
ـ خشن الطباع ؟ جاد صارم ؟.
ـ بكل تأكيد
ـ رجل يصرح بصفة رسمية بأنه لم يخن زوجته أبدا ؟.

ولاريب في أنها كانت تنصت لما دار بينه وبين قاضي التحقيق .. بهـا لم تدهش ، وكانت قـد انتهت من طعـامها وانهمكت في طلاء شفتيها ..

قالت :
ـ اتركك الآن . يجب أن أعود الى بيتي .
ـ لا . . لا .
ـ ماذا ؟.
ـ قلت لا . . لقد وعدتني ان تشاركيني في تناول كأس واحدة
ـ لم أعدك بشيء . . انت الذي . . .
ـ حسنا . . مادمت أنا الذي وعدت . . سوف احملك بعيـدا من هنا . . أما ذهبت ابدا الى مشرب الكوخ الصغير ؟ .
ـ لكنه في هارتفورد !.
ـ بجوار هارتفورد . نعم . هل رأيته من قبل ؟.
ـ لا . .
ـ هيا بنا ..
ـ ابعيد هو ؟.
ـ انه على مسافة نصف ساعة بالسيارة .

ـ ينبغى أن أخبر والدتى ..
ـ فى وسعك أن تتصلى بها من هناك ..

ولو سمعه انسان يتحدث بذلك الثبات وتلك الثقـــة ، لأقسم بأنه خبير بمثل هذه المغامرات .. أما هو .. فكان يشعر فى قرارة نفسه بأنه محتال أثيم ينصب الشراك لايقاع ضحيته ..

سألته :
ـ ماذا لو هبت عاصفة وتعذرت علينا العودة ؟.

فأجابها جادا :
ـ لن يبقى أمامنا سوى قضاء الليل .. فى الحديث والشراب.

وجلل الثلج قمة سيارته بالبياض .. وفتح لها الباب .. ولأول مرة لمس ساعدها وهو يساعدها على الركوب .. وعندئذ اكتشف أنه قد جرؤ أخيرا وبكل تأكيد على أن يصحب امـرأة فى نزهة بالسيارة .

ولم يكن قد اتصل بكريستين . ولابد أنها سألت عنه ريان فى منزله .. ولكن .. لا . انها لن تفعل هذا حتى لا تجازف بتعريضه للخطر .. ولاشك فى أنها قلقة لغيابه لا تعرف ما أصابه وانها تنظر من دقيقة لأخرى من خلال زجاج النافذة .. ولـكنها لن ترى من الطريق المظلم سوى قطع الثلج التى تملأ الفضاء كالقطن المنفوش ، ونحى تلك الأفكار بعيدا عن باله .

وكانت الفتاة تجلس بجواره .. قالت فى بساطة :
ـ أصدقائى يدعوننى آنى ..

اذن فقد أخطـأ حين ظن اسـمها بيجى أو برتا أو مثل ذلك السخف .. أما آنى فهو اسم موسيقى جميل .

ـ وانت ... سبنسر . أنا أعرف فقد كتبته على الآلة مرارا .. والمشكلة هى انى لست قادرة على اختصاره .. فمثـــلا من غير المستساغ أن أقول « سبن » . بماذا تدعوك زوجتك ؟.
ـ سبنسر .
ـ فهمت .

أجل .. فهمت أن كريستين ليست بالمرأة التى تداعب زوجها او تدعوه بألقاب الطفولة ..

واصابه الفزع بغتة .. وخيل اليه أن كريستين تحدجه بنظراتها
اصابه فزع حقيقى حتى انه شعر بالدماء تتجمد فى عروقه وخطر
بباله امر آخر .. ماذا لو شاهدهما أحد الاصدقاء أو لمحهما شرطى
فى منحنى الطريق ؟.

ولكنها أساءت تفسير صمته وانكماشه .

الفصل الرابع

حينما نظر الى الساعة الكبيرة فى المطعم آخرة مرة .. كانت
عقاربها تشير الى العاشرة الا عشر دقائق .. ولا يدرى هل بلغ
بكريستين القلق مداه فاتصلت بريان تسأله عنه .. وهل قام
ريان باخطار الشرطة للبحث عنه فاذا كانت قد تجنبت اثارة المتاعب
علانية .. فلعلها اقترضت سيارة أحد اصدقائها وخرجت بنفسها
للبحث عنه ؟.. ولكنها . حتى لو فعلت ذلك فأكبر الظن أنها قد
عادت الآن لبيتها. ذلك لأن ليتشفيلد ليست بالمدينة التى تضل فيها
قطة .. ولا يزيد عدد المشارب فيها على ثلاثة .. بالاضافة الى
مطعمين . ولن يخطر ببال أحد أن يستفسر عنه فى تلك (الكافتريا)
ذات الجدران البيضاء التى أكل فيها السجق مع آنا مولر ..

ولم تفقده الخمر عقله .. وكان قد تناول ست أو سبع كئوس
ولكنها لم تؤثر فى ادراكه وتفكيره .. بل ظل متمالكا كامل قواه
العقلية . وفى ذهنه صورة واضحة جلية للموقف كله ..

ولو انهم علموا بأنه فى رفقة سكرتيرة ريان . ما استغرق الأمر
دقائق للعثور عليه . مع أن آنا مولر قد اتصلت بوالدتها تليفونيا من
« كابينة » المشرب المسمى بالكوخ الصغير ولم يجسر أن يرافقها الى
الكابينة .. كذلك لم يسألها ان كانت قد ذكرت لأمها مع من تمضى
السهرة .. أو فى أى مكان .. الأفضل له أن يكون حذرا ..

قالت له فى همس:

- من حسن طالعك انى أعمل مع قاض للتحقيق .. فلن تجد فتاة من الجراة بحيث تخرج معك الآن ..

وكان المشرب يكاد يكون خاليا من الناس .. ولعله يمتلىء فى أمسيات الجمعة والسبت .. وظلا فترة من الوقت وكأنهما وحيدان كان الساقى ايطاليا ذا شعر قصير أسود .

ولقد توقع آشبى .. بعد ذلك التحقيق الذى أجرى معالساقى بشأن مصرع بيل - أن يدقق الساقى النظر اليه،أو على الأقل يوجه اليه بعض الاسئلة . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ولابد أن منظر آنا كان مألوفا لا يدعو للشك أو الريبة . فقد كانت تتصرف فىحرية تامة كأنها فى دارها .

ولم يكن فى استطاعتهما - حيث كانا - أن يشاهدا ما يجرى داخل المشرب . ولكن الساقى كان فى وسعه أن يراهما خلال نافذة المطبخ الضيقة وكلما سمع آشبى الباب الخارجى بفتح ارتعدت مفاصله وتوهم أن رجال الشرطة فى طريقهم اليه . لاشك انهم يبحثون عنه الآن ويقلبون كل حجر للعثور عليه .. وسيكون موقفه عصيبا اذ كيف يتسنى له أن ينفى عن نفسه تهمة الهرب . أو على الأقل كيف يقنع ريان والرأى العام .. انه ليس كما بدا فى أول الأمر .. المدرس الحيى الخجول الذى لم يفكر أبدا فى خيانةزوجته طول فترة زواجهما . والواقع .. انه لم يبذل أى مجهود ليحول مجرى الأحداث .. فكلما طلبت آنا احدى الاغنيات ، ذهب الى الآلة الموسيقية ليضع فى حلقها قطعة من النقود .. تلك الآلة التى طالما اثارت مشاعره وكان يحلم بها فى الماضى .

ترى هل يبحث عنه رجال الشرطة حقا ؟.

ومع ذلك فلن يخطر بفكر كريستين انه فى هذا المشرب مع فتاة .. ويل له ! . ما كان يجدر به أن يأتى بها الى ذلك المكان . وحين دعاها الى كأس من الشراب لم يكن يتوقع انها ستقبل دعوته وتأخذها مأخذ الجد .. بل تتمادى معه على هذا النحو ...

ولقد حاول ـ بصدقٍ ـ عقب الكأس الأولى أن يقنعها بضرورة عودتها الى الدار .

وسألها :

ـ أما خرجت أبدا مع ريان ؟.

وضحكت عاليا .. بطريقة لم يرتح اليها .. ولكنها لم تجب ..

قالت له :

ـ ننصرف .

وقبل أن يبرح الغرفة دفع الحساب للساقى ثم انطلق معها وقطعا المسافة المضاءة حيث تقف السيارات .

وكان الثلج المتساقط كثيفا ناعما وكل شىء مجلل بالبياض .. وحين فتح باب سيارته .. شعر بقسوة البرودة تسرى فى جسمه من مقبض باب السيارة . أم لعلها أعصابه الثائرة التى جعلته يرتعد فرقا لا بردا ؟.

وومض فى ذهنه خاطر .. لم يستمر سوى ثانية واحدة .. أن الأمر لا يعدو أن يكون شركا معدا له من ريان نفسه ..

فقد تقف من لحظة لأخرى احدى سيارات الشرطة بجـــواره وتمتد يد ثقيلة فتوضع على كتفه .. وقد آمنوا جميعـــا بارتكابه الجناية الأولى .. ولن يستطيع أن ينطق بحرف دفاعا عن نفسه !.

والتصقت به الفتاة ، ولكنه اقصاها عنه فى خشونة وعندئذ بدرت منها ضحكة ساخرة هازئة تحمل كل معانى الاحتقار .

كانت تركله بقدميها فى قسوة ووحشية .. ومقت شديد .. انها ستجعل منه أضحوكة .

وربما كانت أقوى منه جسدا . ولكن .. فى ذلك المكان الضيق الخلفى من السيارة .. لم يكن فى وسعها المقاومة أو التخلص من جسمه وهو يجثم فوقها .

وكان عنقها سميكا .. وعضلاته قوية .. على عكس عنق شيلا الرفيع الناعم البض ، ذلك العنق الذى طالما تمنى أن تتحقق أحلامه فيضع أصابعه عليه ..

وحين خمدت حركتها .. عاد الى المشرب وحيدا ..
ـ شراب وصودا ..

واتجه مباشرة الى مقصورة التليفون . وهو يتوقع أن ينظر اليه الساقى فى دهشة وفضول ، ولكن الرجل لم ينتبه اليه لأنه كان مشغولا بالتحدث مع ايطالى آخر حديثا وديا ، وربما كان هو صاحب السيارة الكاديلاك التى تقف أمام الباب .

وكان فى وسعه أن يراهما من المقصورة .. وان يرى كذلك العميل العملاق ذا الجثة الضخمة الذى كان يجلس على النضد الطويل .. يتأمل كأسه .. كأنما يرى فى انعكاس الشراب صورة صديقته ..

ـ صلنى بمركز الشرطة فى جوش .. من فضلك .

ـ هل تقصد مركز الشرطة هنا فى هارتفورد ؟.

ولكنه أصر على طلبه .

ـ لا .. مكالمة شخصية .

واستغرق ذلك بعض الوقت . وكان يسمع عمال التليفون يتحدثون معا على الخط الطويل .

ـ هالو .. أهذا مركز الشرطة فى جوش ؟ اريد أن اتحدث مع الملازم آفريل .

ولكن لماذا لا يهرب ؟ ان لديه متسعا من الوقت للتخلص من الجثة .

ولكن لماذا يهرب .. والى أين ؟.

هذه هى الطريقة السهلة .. سوف يشعرون بانتصارهم .. وسيسعدهم ذلك .. وربما أفادهم الحادث فى ترقية استثنائية .. بعد أن يبزغ نجمهم فى سماء المجتمع .

ـ السيد الضابط فى أجازة هذا المساء .. هل من رسالة تحب أبلاغها اليه ؟.

ـ لا شكرا .. انه موضوع شخصى .. سأتصل به فى منزله .

كم كانت الساعة ؟ انه لم يحمل ساعته معه . وما كان فى وسعه من مكانه فى المقصورة ان يرى ساعة الحائط فى المشرب .. يا الهى لو استطاع أن يجعل آفريل يطير اليه ! . لكى يفوز به حيا قبل غيره !.

وعثر على الرقم فى دليل التليفون ـ وتنفس الصعداء حين سمع صوت آفريل ..

قال له :

ـ انا سبنسر آشبى ..

وكأنما كان يقول .. انا رئيس الولايات المتحدة .. وابتلع لعابه ثم أردف بسرعة :

ـ انا الآن فى مشرب الكوخ الصغير بالقرب من هارتفورد .. وأحب أن تحضر قبل غيرك لتقبض على ..

ـ هل أنت بمفردك ؟.

ـ الآن .. نعم ...

ثم وضع المسماع .. ولقد كان يفضل لو ظل مكانه فى المقصورة بيد أن ذلك قد يجذب الأنظار اليه .

لماذا لا يتصل بكريستين لـيقول لها .. وداعا .. لقد كانت نعم الزوجة التى ترعى زوجها رغم مساوئها .. ولم يكن لها ذنب فى ذلك .. ولابد أنها تجلس الآن بجوار التليفون .. وربما دق الجرس وحين تهرع اليه فى لهفة لا تسمع سوى أنفاس تتردد فى اذنها من ذلك المجهول كما حدث مرارا .

ولكنه بدل أن يتصل بزوجته .. ذهب الى البار ورفع نفسه فوق أحد المقاعد العالية .. وكان الرجلان مازالا يتحدثان بالايطالية فأفرغ نصف كأسه فى حلقه مرة واحدة . وحانت منه نظرة الى المرآة الكبيرة أمامه واذا به يلمح صورته بين زجاجات الخمور .

ورمقه السكير العاشق بنظرة طويلة وقال :

ـ هل استمتعت بوقت طيب يا صديقى ؟.

وأشد ما كان يخشاه .. أن يكشفوا أمره قبل وصول آفريل..
فأومأ براسه وهو يبتسم ابتسامة باهتة .. وتحول الساقى نحوه كان ملاكما سابقا مفتول العضلات .. وظهر على ملامحه انه يفكر ببطء ليحل لغزا ما . وبدا كأنه يجهد ذهنه فى تذكر أمر معين ،ونظر الى الفرفة الخلفية من خلال النافذة الصغيرة .

ولما عاد .. قال شيئا لصديقه الايطالى الذى كان ما يزال واقفا وقبعته العريضة فوق رأسه.

واحس آشبى بالخطر . فأنهى ما بكأسه . وطلب كأسا أخرى وهو فاقد الأمل فى أن يجاب طلبه .

وكان الساقى فى انتظار عودة صديقه حيث بعثه فى مهمة بالخارج .

سوف تمضى عشر دقائق أخرى قبل أن يستطيع آفريل الوصول .. حتى ولو استعمل جميع آلات التنبيه الحادة فى الدنيا كلها ..

وتظاهر آشبى بأنه يشرب من كأسه الفارغة .. بيد أن أسنانه كانت تصطك بحافة الكأس .

ولم يرفع الساقى بصره عنه .. وبدا كأنه يتأهب .. وكانت له ذراعان يكسوهما الشعر . وفك عريض ، وأنف مجدوع كأنما قد هوت عليه مطرقة فهشمته .

ولم يسمع آشبى الباب حينما فتح . ولكنه احس بتيار الهواء البارد يصفع قفاه . ولم يجرؤ على النظر وراءه وهو يسمع الرجل الايطالى يتكلم فى لغة لم يفهمها .. وفى اهتمام بالغ .

وذلك ما كان يخشاه آشبى .. لن يصل آفريل أبدا فى الوقت المناسب .

والتف الساقى خلف النضد .. وعيناه مثبتتان عليه ..ولكنه لم يكن البادىء فى ضربه .. بل الايطالى ذو القبعة العريضة .. وكاد يسقط وهو يحاول الهبوط من مقعده .. وانهالت عليه اللكمات من كل صوب .

وحاول آشبي أن يقول لهما !

ـ لقد دعوت الشرطة بنفسي ..

ولكن أحدا لن يصدقه . فلم يعد هناك من يصدقه الآن . عدا انسانا واحدا .. هو الرجل الذى قتل بيل ! .

كانوا يضربونه فى عنف وقسوة .. وراسه يدور عقب كل ضربة كأنها الزكيبة التى يتمرنون عليها فى الملاكمة ، واندفع اليه الرجال من كل صوب .. وخلت المقاصير من زبائنها .. ووقفت الفتيات جانبا ينظرن وفى عيونهن دهشة . وربما تشف أيضا .

وحينما وصل الضابط آفريل .. تسبقه آلة التنبيه الحادة .. ودفع الباب محاطا باثنين من رجال الشرطة الأقوياء كان سبنسر آشبي ملقى على ظهره منذ فترة طويلة أمام « البار » وهو جثة هامدة .. وحطام كأسه متناثرة حواليه .. وخيط من الدماء يتصل بين شفتيه والأرض ..

« تمت »

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلى ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الأشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » بالاسماعيلية .

اسم العملية	تاريخ فتح المظاريف ظهر يوم	ثمن المستندات جنيه	مصاريف البريد مليم	قيمة التأمين الابتدائى
صيانة المبانى والتحسينات البسيطة ببور سعيد وبور فؤاد والاسماعيلية	الاثنين ٦٤/٥/١١	١٠	٠ر٧٥٠	١٠٠٠ جنيه عن كل قسم
صيانة السخانات وأفران البوتاجاز ببور سعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/١٨	١	٠ر١٠٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
صيانة واصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة ببورسعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/٢٥	١	٠ر١٠٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
تنفيذ أعمال مختلفة بداخل المنطقة الجمركية ببور سعيد « أعمال صيانة الميناء »	الاثنين ٦٤/٦/١	٢	٠ر٢٠٠	٥٠٠ جنيه
كسح خزانات التحليل بمبانى الهيئة بالاسماعيلية	الاربعاء ٦٤/٥/٢٠	١	٠ر١٠٠	٥٠ جنيها
توريد رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة	الاربعاء ٦٤/٥/٢٧	١	٠ر١٠٠	٥٠ جنيها



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

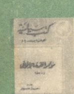
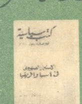






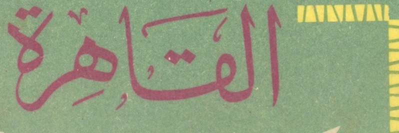


تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر

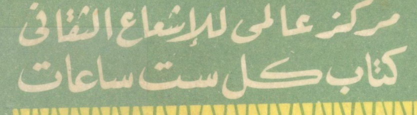







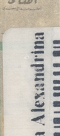
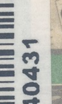







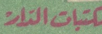








نيويورك لندن
الجزائر بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الاسكندرية
القاهرة